وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة زيان عاشور بالجلفة

قسم العلوم الإنسانية

قصر عين ماضي بولاية الاغواط

دراسة اثرية معمارية

مذكرة تخرج ضمن متطلبات لنيل شهادة ماستر في الاثار الإسلامية

اعداد الطالب

ميلود قواس

اشراف الدكتور

بديرينة ذيب

الموسم الجامعي: 2019/2018

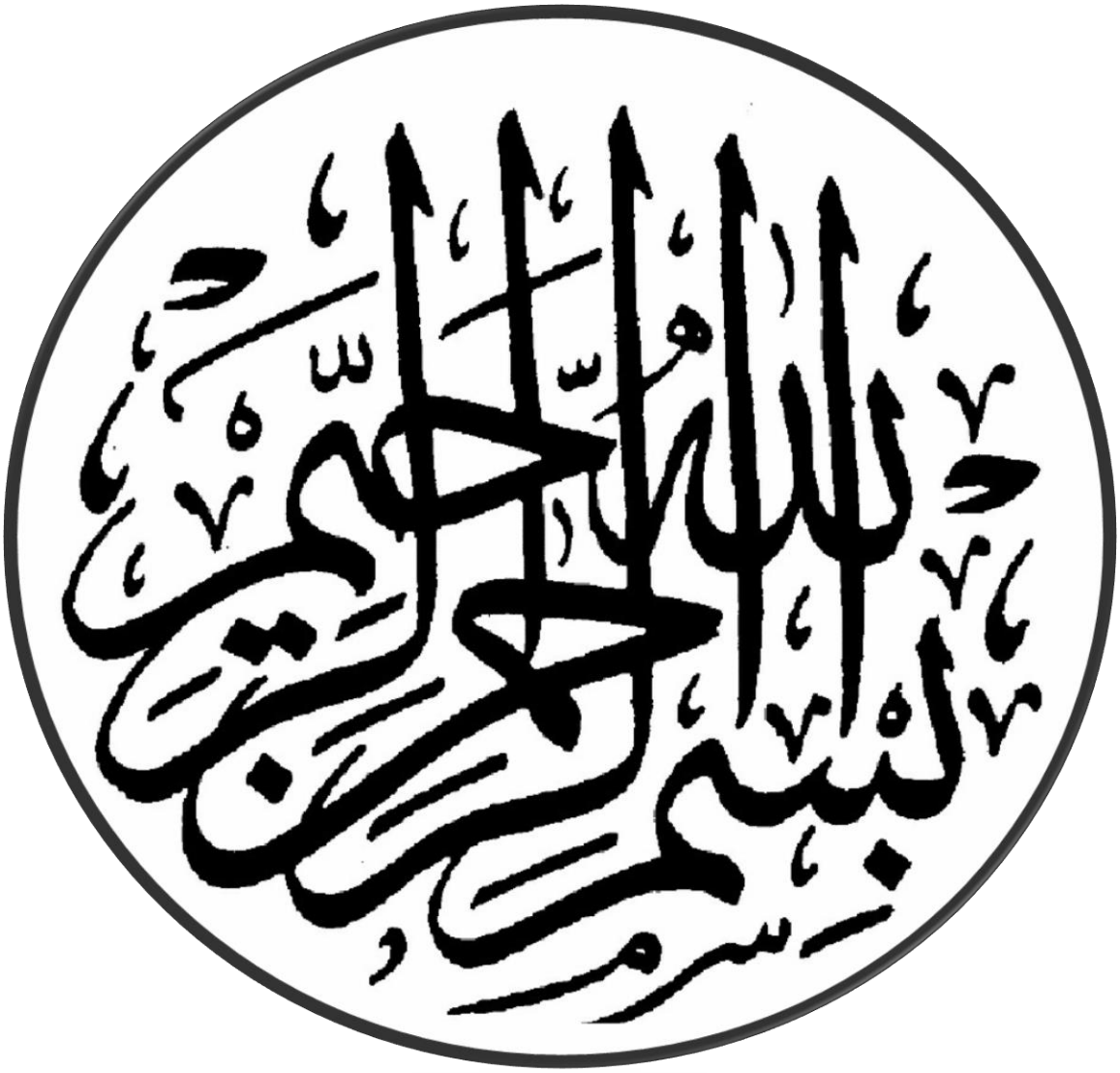
بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر وتقدير

انطلاقا من الأثر "من لا يشكر الناس لا يشكر الله"

أتقدم بأسمى كلمات الشكر والعرفان إلى أستاذي الفاضل الدكتور "بريبش ذيب"، على المساعدات القيمة التي قدمها في رحابه للبحث

بروح علمية رزينة عبر المراحل المختلفة من إعداده، و زودني بالإرشادات و التوجيهات. و أشكر الأستاذ الدكتور "محمد جودي" على مساهمته القيمة في هذا البحث، كما لا أنسى بالشكر الأستاذ " عيساوي بوعكاز " و الأستاذ "عبد الرحمان جعليط"

وأشكر كذلك سكان عين ماضي الذين كان لها فضل كبير في القيام بالعمل الميداني. وإلى كل من له بصمات واضحة في إنجاز هذا العمل، كلمة شكر واعتراف. جزا الله الجميع عني خير الجزاء

الإهـــــــــــداء

الى كل عائلتي الكبيرة والصغيرة الى ابي وامي الى

زوجتي وابنائي محمد أسر وشهد جاسر والى كل اخوتي

واخواتي الى كل أصدقائي من قريب ومن بعيد

مقدمة

المقدمة

إن الأنماط المعمارية على مر العصور كانت دائما انعكاسا صادقا لتطور البيئة الحضارية التي كانت تسود كل مرحلة من المراحل التاريخية لدى أي شعب من الشعوب مهما كان محيطها البيئي سواء في المنطقة المعتدلة، أو في المنطقة ذات المناخ الجاف المتميز بالتغير على المدى القصير أي اليومي، حيث ساعدت البيئة الصحراوية الحارة بظروفها الطبيعية والاجتماعية على إيجاد نمط عمراني معين يتلاءم معها، إذ عمل الإنسان على جعل مسكنه وحيه ومدينته يتوفر على عامل الحماية من الظروف الطبيعية القاسية والاجتماعية، ونظرا للعفوية والتلقائية التي عمدها الإنسان أو الفرد الصحراوي في بناء مسكنه بالدرجة الأولى ومدينته لتعدد المساكن جعلتها تنفرد بخصائص ومميزات عمرانية جعل منها نمطا مميزا وخاصا يعبر عن تأقلم الإنسان مع أصعب الظروف الطبيعية والمتمثلة في الحرارة والرياح المحملة بحبيبات الرمل " الزوابع الرملية ، إذ عمل على جعل مبانيه ملتحمة وشبه ملتحمة في نسيج عمراني متناسق.

توصف في كثير من الأحيان العمارة الصحراوية بالبساطة، سواء من ناحية إنشاءاتها المعمارية أومن ناحية مواد البناء التي شيّدت بها، غير أن الباحث في تفاصيلها يكتشف أنها عمارة تم تطويرها عبر قرون كثيرة لتكون حصيلة تراكمات تراثية وتجارب شتى اكتسبها الإنسان وورّثها للأجيال اللاحقة، فأصبحت نمطا معماريا خاصا ومتميزا يتأقلم مع العوامل المناخية الصعبة للمنطقة من جهة ويراعي خصوصية الحياة الاجتماعية للسكان من جهة أخرى.

إن القصور الصحراوية ظاهرة معمارية يتميز بها الجنوب الجزائري، فهي رمز ومعلم حضاري هام يدل على عمق تاريخ المنطقة دلت عبر القرون على مدى قدرة الإنسان على التأقلم وخاصة التأقلم مع المناخ الصحراوي. ومع التطور الحاصل في

مواد البناء وتكنولوجيا ومع انحلال الروابط التقليدية وتشكل البني الاجتماعية الجديدة وازدهار حركة العمران نقص مستوى الراحة والرفاهية في المسكن التقليدي بالقصور، وهذا ما أدى إلى الهجر المتواصل للقصور وبذلك أصبحت القصور مجرد معالم أثرية وسياحية تشهد على عمق التاريخ واصالة ساكنيه سابقا.

نذكر منها قصور منطقة جبال العمور قصور ولاية الأغواط، التي تبعد عن مقر الولائي بمسافة تتراوح ما بين 15 كلم شرقا و150 كلم غربا، معظمها مازال شامخا محتفظا بمبانيه وطرازه المعماري، كالقصر القديم لمدينة الأغواط، قصر تاجموت وقصر عين ماضي والذي سيكون محور دراستنا.

هذه الدراسة قراءة للجانب الجمالي والرمزي للعمارة الصحراوية وإبراز للمدلولات العميقة لها، تتناول عمارة قصر عين ماضي بالأغواط كنموذج لدراسة اثرية معمارية حيث يعتبر نموذج للعمارة الصحراوية بكافة اشكالها وفنونها وتلخص لنا جوانب مهمة في الطراز المعماري والنمط العمراني السائد بالمنطقة على غرار القصور الأخرى المجاورة لها كقصر تاجموت وغيره.

حيث ترتبط الهوية العمرانية للمدينة الصحراوية بمفهوم العمارة الأصيلة التي تمثل خاصية فريدة ومتميزة كما يعتبر القصر بوصفه إذا مكانا أصيلا يرتبط بهوية مستعمليه. يملك طابعا أصيلا وذاكرة غنية من خلال ما يحتويه من شواهد مادية و معنوية ثمينة ابرزت تطوره انطلاقا من ظروف تاريخية مختلفة، لطالما أنشئ و تنظم هذا القصر على أساس من التناغم البيئي و الاجتماعي كون القصر التقليدي هو في الواقع نتائج مراعاة الظروف البيئية الصحراوية و أيضا تمثيل لصورة تنظيم اجتماعي و سياسي و اقتصادي لسكانها. كما يرتبط العمران القديم في المدن الصحراوية بمفهوم التراث المعماري الذي يتعلق بما هو باق من الزمن الماضي لثقافة الشعوب سواء تعلق

بالجانب المادي أو اللامادي، إذ يشكل التراث المعماري أهمية بالغة لدى الشعوب المنطقة برز ذلك بمراكز عمرانية كاملة كقصر عين ماضي بالأغواط.

وإنّ المتمعن بعمق في الجوانب التقنية والهندسية لقصر عين ماضي وعلى غرار معظم القصور التي تقع في الصحراء الجزائرية يخلص إلى أنّ الظروف الأمنية والطبيعية للمنطقة و والجانب الديني تحكمت بشكل كبير في رسم وتوجيه الشكل الهندسي للبناء. كما لا يمكن إغفال تأثير العوامل الاقتصادية والاستراتيجية في عمارة القصر، إذ نجد أنّ تشييده ارتبط بشكل أساسي على مدى وفرة المياه والتربة الخصبة، وتبعا لتلك الأهمية الاقتصادية والموقع الممتاز الذي حظي به قصر عين ماضي:

يعتبر القصر القديم بعين ماضي تحفة معمارية مميزة و نموذجا للعديد من القصور الأخرى، له سحر جمالي نتيجة الدرجات العالية من المهارات الحرفة التي دخلت في البناء، قصر فريد من نوعه أبقى على تراث المنطقة و هو يقدم نافذة في عمق تاريخ هاته المدينة، فالقصر من خلال تصميمه المتناسق و جدرانه الكبيرة و الممرات الطويلة و الضيقة و المميزات الهندسية و العمرانية كلها من مميزات الهندسة الإسلامية وقتها، بحيث تظهر جلية في آثار القصر واضحة متناسقة مع البيئة من حولها.

كما كان لاحتضانه للشيخ أحمد التيجاني مؤسس الطريقة التيجانية، التي كان لها باعا طويلا في نشر الإسلام في أدغال إفريقيا و في العالم كله، حتى أن أتباع هاته الطريقة في العالم أصبحوا يرون مدينة عين ماضي عاصمة دينية و مزارها شريفا لهم و ليس أدل من ذلك ديمومة زيارتها بوفود من شتى أقطار العالم و على مدار السنة.

اما تاسيسه فيرى بعض الباحثين أن تاريخ تأسيس قصر عين ماضي يرتبط ارتباطا وثيقا بتسميته المركبة من كلمتين هما: عين وماضي فبالنسبة للكلمة الأولى "عين" يعتقد هؤلاء أنها تعود إلى العين الواقعة شمال المدينة على سفح جبل ، والتي

كانت تمثل المورد الرئيسي والوحيد للسكان آنذاك. بينما يرى فريق آخر أن كلمة "عين" دلالة على ما عرفه القصر من ازدهار فكري، حيث كان يفد إليه الناس من جهات مختلفة ليغترفوا من علومه أما كلمة ماضي فيعتقد أنها نسبة إلى ماضي بن مقرب أحد أعيان قبيلة قرة الهلالية

أما من الناحية الطبيعية فإن هذه المدينة تزخر بموقع جغرافي عظيم بين سلسلة جبال الأطلس الصحراوي مما جعل مناظرها الطبيعية غاية في الجمال، و تنوع تضاريسها مرتعا للعديد من الحيوانات زيادة على ذلك تهيئها الطبيعة الملائمة للراحة و الاستجمام خصوصا بتوفير ينابيعها الجبلية.

إن دراسة القصور بصفة عامة لها من الأهمية ما يكفي لإدراجها ضمن التراث المعماري الأصيل والمتنوع، الذي وصل إليه الإنسان عبر حقب التاريخ، فهذه القصور بكل ما فيها من مساكن وأسوار ومرافق، لها تاريخ متشعب عن وجودها، كما أنها تجسد هوية شعب كان هدفه انجاز مساكن تستجيب لحاجياته، وتجعله يتحدى صعوبات فرضتها عليه البيئة الصحراوية القاسية ويتكيف معها ويجعل منها عاملا لصالحه من خلال نموذج رائع من العمارة الصحراوية

و تبرز أهمية الدراسة المتمحورة حول القصر عين ماضي اثريا و معماريا في تشكيل القصور الصحراوية بيئة اجتماعية و ثقافية برزت من خلالها وجود نمط معماري و عمراني و فني يجسد هاته الثقافات و يعبر عنها بأساليب فنية شتى وفي هذا السياق ظهرت أشكال معمارية و مخططات عمرانية نموذجية خاصة بالبيئة الصحراوية،.

حيث يعد التراث العمراني أحد أهم مقومات المحافظة على التراث والهوية لكونه شاهدا على تراكم خبرات المجتمعات عبر تاريخها، كما أنه من الأعمال التي ورثتها الأجيال عن سابقاتها سواء كانت أعمالا فردية أو جماعية. ويظهر ذلك في صورة بيئة عمرانية متكاملة

يشكل قصر عين ماضي طابع هندسيا وعمرانيا مميزا يحتفظ بمعالمه وبطرازه المعماري والفني ونسيجه العمراني العتيق الغني بتصاميمه وجماله وسيماته القديمة، و إرثا سكنيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا هاما تمكن من الصمود في وجه الزمن يجب حمايته والحفاظ عليه من أجل ضمان وجوده واستمراريته

وفي إطار بحثنا هذا. هدفنا الرئيسي هو إظهار الخصائص المعمارية والعمرانية و القيمة الاثرية لهذا النوع من العمارة الذي يظل الأساس الآن في المناطق الصحراوية والذي يتطلب نوع خاص من الحماية و الدراسة وتسليط الضوء عليه فلقد انصب اهتمامنا لدراسة هذا القصر لعدة أسباب رئيسية هي:

1-الأسباب الموضوعية: تمثلت قيمته الأثرية المتمثلة في الأهمية التراثية كونه يحمل في طياته كل الموروث المادي و اللامادي و التاريخي للقصر و مروره بأحداث تاريخية و ثقافية و دينية مثل الزاوية التيجانية وامتدادها حول العالم

2-الأهمية الهندسية : قيمته المعمارية المتمثلة في طرازه المعماري ومميزاته الهندسية التي استعملت فيها درجات عالية من تقنيات الحرفة والبناء حيث يعتبر كنموذج للعمارة الصحراوية من خلال عناصره المعمارية كالمداخل والأبواب و الصاباطات والعقود و الاسوار الدفاعية والعناصر العمرانية مثل تعرج الدروب و المسالك و ضيق الازقة و ارتفاع الجدران و توزع المساكن ووجود المسجد كنواة للقصر القديم كحال المدن الإسلامية و تقنيات و مواد البناء المستعملة فيه

3 / المعالم الدينية قيمته الدينية المتمثلة في كونه مقرا للزاوية التيجانية التي لها أتباع من شتى ربوع العالم

4-خطر الضياع الذي يهدد باقي المنشآت بسبب الحالة المزرية التي آلت إليها بعض منشآت القصر نتيجة هجره من طرف السكان، وافقادها الدور الذي يضطلع به في الحياة المعاصرة نتيجة عاملي الزمن والبشر

ولدرستنا لهذا القصر من عدة جوانب اهمها الجانب الاثري والمعماري و احاطتنا بكل ما تعلق بالقصر وكلما يفيدنا في دراستنا و لتكون مجدية و ذات أهمية وعمق واجهتنا عدة إشكاليات نحاول حلها او تفسيرها قدر المستطاع من خلال دراستنا و اهم الإشكالات نطرح منها

1-إشكالية تاريخية: ويقصد بها معرفة المراحل الزمنية التي شيد أثناءها القصر، وما هي الأقوام التي وفدت وسكنت هذه المواقع. والجدير بالذكر أن المعلومات التاريخية قلما يعثر عليها في المصادر التاريخية وهي نادرة توثق لنا تطور التاريخي القصر وتوسع القصر من النواة الى الحالة الراهنة و هي الحالة الأخيرة من التطور و التوسع تدرجا زمنيا كما لا نجد شواهد مادية من وثائق ملكية او كتابات تأسيسية تدل على ذلك ولذا فإن الرجوع إلى الروايات الشفوية يعد أمرا حتميا رغم افتقادها إلى الحجج العلمية أو تناقضها أحيانا ، أو تطغى عليها العاطفة حيث تود كل مجموعة إعادة نسبها إلى السكان الأولين للقصر ، أو يغلب عليها المسحة الخرافية أحيانا آخر. وبالإضافة إلى ذلك فإن قصر عين ماضي تكاد تنعدم به الوثائق المادية، باستثناء بعض الدراسات الحديثة مثل علي حملاوي في كتابه نماذج من قصور السفح الجنوبي لمنطقة جبال عمور

2-إشكالية تطور النسيج العمراني :

إذا كانت الإشكالية التاريخية مهمة لمعرفة المراحل الزمنية للقصر فإن الإشكالية العمرانية لا تقل أهمية عنها . وتتمثل في معرفة مراحل البناء التي مر بها القصر. فهل بني كتلة واحدة أو كان نتيجة لتداخل مجموعة من القصور، أو تطورت عبر فترات زمنية مع وفود مجموعات بشرية أخرى وما هي إذن الأجزاء الأصلية من الأجزاء المضافة ؟

3-إشكالية الدور:

وهي معرفة الدور التي لعبه هذا القصر منذ تأسيسه هل كان للعيش دور اجتماعي ام للحماية دور عسكري و احتضانه للزاوية التجانية و ازدهارها فهل كان له دور ديني

إشكالية معمارية :

يحتوي هذه القصر على مجموعات من العناصر المعمارية والفنية شبيهة بتلك التي نجدها في بعض المباني الإسلامية والقصور الصحراوية على امتداد جنوبنا الكبير مثل قصر تمنطيط و قصور قورارة والقصبات تشترك في الخواص الفنية و كذا التقنية مع وجود فوارق تمليها اختلاف الثقافات و الموروث المحلي او القبلي او مواد البناء المستعملة فهل كانت الطرز المعمارية و الأساليب الفنية و النمط العمراني وافدا ام محلي نتاج الموروث الثقافي ام امتزاج كل هاته العوامل في انشاءه و تخطيطه

منهجية البحث: سنعتمد في هذا البحث أساسا على محورين:

1- المحور النظري:

مشكلة قصر عين ماضي كمشكلة جل القصور الصحراوية و هي قلة المصادر البيبليوغرافية بحيث نجد أن أغلبها عبارة عن مراجع عامة تمثلت في رحلات لم تفرد المنطقة بل شملت معظم الصحراء الشاسعة نذكر منها رحلة أبي سليم عبد الله بن محمد العياشي المعروفة بماء الموائد، و رحلة العباس محمد بن ناصر الدرعي، و رحلة الحاج بن الدين الأغوطي أما فيما يخص المؤلفات الأجنبية فنذكر منها ما كتبه القادة العسكريين و الرحالة، أمثال "بعثة الأغواط في شهر ماي و جوان 1844 م" للجنرال ماري مونج و "ذكرياتي" للجنرال دوباريل، و كتاب "الصحراء الجزائرية" للجنرال دوماس، و "صيف في الصحراء " للرسام فرومنتان و "ثلاث سنوات في شمال إفريقيا" للرحالة الألماني هاينريش فون مالتسان. وهي عبارة عن دراسات وصفية قديمة شملت ملاحظات مؤلفيها أثناء مرورهم بالمنطقة تفتقر إلى التفاصيل المهمة، وعلى الرغم من النظرة الشاملة التي امتازت بها هذه الدراسات وخلوها من التحليل فإنها تعتبر ذات فائدة كبيرة بالنسبة للدارس في هذا المجال، حيث تمكنه من معرفة أهم التغييرات والتطورات التي شهدها | القصر عبر مرور الزمن.

2-المحور التطبيقي:

تعتبر هذه المرحلة مهمة في عملية الحفاظ على الموروث التراثي من خلال تسجيلها ووصفها وتصويرها وذلك بإجراء مسح ميداني واجراء مقابلات للمختصين والأشخاص ذوي العلاقة، تثبت نتائج التوثيق هذه في جداول وسجلات وخرائط لتسهيل مهمة الرجوع إليها سواء في مشروع الحفاظ أو للأبحاث والدراسات المستقبلية، يضاف إلى السابق انه في عملية التوثيق تحدد أيضا المواد الأصلية للقصر والمواد المضافة في مراحل لاحقة،

ومراحل تطوره واستخدامه عبر الزمن، والتي تساعدنا في تحديد واخذ القرارات المناسبة في عملية التوثيق وجمع البيانات من خلال الخطوات التالية:

مراحل البحث: اعتمدنا في اطار هذا البحث عن المنهج الوصفي خاصة في الفصل الاول و الثاني و استخدمناه في وصف القصر و مكوناته و ووصف النسيج لعمراني للقصر و ما احتوى من العناصر العمرانية من شوارع و ازقة و دروب و كذا المداخل القصر وابوابه و الرحبات الموجودة به اما الفصل الثالث فقد اعتمدنا المنهج التحليلي في تحليل العمارة الدينية و العسكرية و المدنية و كل العناصر المعمارية المستخدمة

تم هيكلة المذكرة لتشمل مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة بحيث تجيب على الإشكالية المطروحة.

المقدمة:

تتضمن تعريف بموضوع الدراسة من حيث إطاره التاريخي والجغرافي وسبب اختيارنا لهذا الموضوع، و إشكالية البحث و أهدافه و أخيرا منهجية البحث. كما نتطرق كذلك المصادر والمراجع المعتمد عليها في البحث.

الفصل الأول:

نستهل هذا الفصل ببعض المفاهيم المتعلقة بالقصور الصحراوية كالتعريف بها وبنسيجها العمراني، ثم نتعرض لتعريف بالمحيط الطبيعي لمنطقة عين ماضي متطرفين لموقعها ومناخها، ومن ثم ننتقل لتقديم نبذة تاريخية عن قصر عين ماضي ومدى تأثير الزاوية التيجانية في تاريخه.

الفصل الثاني:

و في هذا الفصل توجيه الدراسة نحو الوصف العمراني للقصر بادئين بمختلف مراحل التطور العمراني له، ثم نعرف بهيكلته العمرانية بحيث ندرس في هذا الباب عدة عناصر كالشكل العام للقصر، التحصينات بجميع منشآتها (الأسوار، الأبراج، الأبواب) ، كما نتطرق لنظام و أنواع الشوارع و خصائصها كما يتضمن هذا الفصل دراسة الاساليب الفنية و مواد البناء المستعملة في القصر وتقنيات استعمالها في مختلف العناصر الإنشائية كالأساسات و الجدران و الفتحات و السلالم و التسقيف.

الفصل الثالث:

. نقوم بدراسة وتحليل مختلف العمارات الموجودة بالقصر، أولها العمارة الدينية والتي تقتصر في القصر على الجامع العتيق والزاوية التيجانية أين نبرز خصائصا و مميزاتها، و بعدها العمارة العسكرية و التي كانت ذات أهمية كبيرة في القصر، وأخيرا نتطرق للعمارة المدنية و التي تمثل 80% من منشآت القصر مبرزين مفاهيم التصميم الداخلي لها و علاقته بالمناخ و العوامل المؤثرة فيها.

الخاتمة:

سننهي هذا البحث بخاتمة نظهر فيها مختلف النتائج التي سنتوصل إليها من خلال هذا العمل وسنرى إن استطعنا الإجابة على الإشكاليات المطروحة في بادئ البحث.

المراجع:

إذا نظرنا إلى قصر عين ماضي فنجده يفتقر إلى المصادر و المراجع التي تساعدنا و خاصة فيما يتعلق بأنماط هذه المنشآت و فيما يخص المصادر والمراجع المتوفرة فنجدها

سطحية تحتوي على عموميات ، خاصة ما يذكرها الرحالة العرب و الأجانب و مع ذلك فلهذه المصادر أهمية في إزاحة الغبار هذا المعلم.

1–حملاوي علي ، نماذج من القصور منطقة الأغواط، دراسة تاريخية و أثرية، طبع المؤسسة الوطنية الفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر2006.

2 – عثمان عبد الستار، المدينة الإسلامية، دار الآفاق العربية للنشر، الطبعة الأولى، 1999.

3–فجال خالد سليم، العمارة و البيئة في المناطق الصحراوية، الدار الثقافية للنشر، مصر، 2002.

ب- المراجع الأجنبية

,

1- C.Trumelet, Histoire de l'Insurrection Dans Le Sud, Alger, 1861

2- Eugéne Fromentin, Un Eté Dans le Sahara, et une année dans le sahel. Eddition illustrée. Paris – Méditerranée, 2004.

3-G.Hirtz, L'Algérie Nomade Et Ksourienne 1830-1954,

الفصل الأول

1-عموميات حول القصور الصحراوية

2 -المحيط الطبيعي للمنطقة

3-لمحة تاريخية عن قصر عين ماضي

4-التطور العمراني لقصر عين ماضى عبر التاريخ

1 – عموميات حول القصور الصحراوية

1-1 تعريف القصر:

يعرف القصر لغويا على أنه ما شيد من المنازل وعلا، وبصيغة أخرى هو بناية فخمة واسعة "[1]، ولقد ورد ذكره أيضا في القرآن الحكيم في قوله عز وجل "...تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا"[2]. كما عرف القصر في الموسوعة الحرة ويكيبيديا: "باللهجة العامية في المغرب العربي تنطق بتسكين القاف وفتح الصاد وتسكين الراء، هي بناءات محصنة نجدها في المغرب العربي بجنوبه خصوصا، تبنى القصور عموما على مرتفعات بمداخل الواحات من النخيل و منابع المياه و تتكون القصور من مطامير لتخزين القمح و الأكل عموما و بيوت للسكان. تشكلت هندسة القصور لتصد القبائل الرحل في الصحراء فكانت الحل المناسب لحماية سكان الواحات [3]

1-2 القصور الصحراوية:

تعني كلمة القصور بالمناطق الصحراوية مجموعة من المنازل المتكدسة والمتلاصقة فيما بينها مشكلة مساكن متراصة، محاطة بأسوار تتخللها أبراج مراقبة[4].

---

[1]– المنجد في اللغة والإعلام ، الطبعة الحادية والعشرون ، دار المشرق ، بيروت 1986 ص.633

[2] – القرآن الكريم ، سورة الرحمن ، الآية 72

[3] – ويكبيديا، الموسوعة الحرة، www . ar . wikipedia . org

[4] AIT EL HADJ (A), Kasbahs et ksours: Un Patrimoine En Ruine Revue Bimestrielle, Janvier-Fevrier 2006, p.27

كما يمكن تعريفها كتكتلات سكنية تقطنها مجموعة بشرية تنتمي إلى أصل عرقي واحد أو إلى أصول مختلفة، وتكون تلك التكتلات مجهزة بنظام دفاعي يتكون أساسا من سور محيط بتلك التجمعات تتخلله أبراج منيعة للمراقبة والدفاع[1].

هذه القصور تتميز بمساكن نموذجية، و التي يكون تاريخها مربوط بوفرة الماء و مواد البناء بتلك المنطقة، و كذا ملائمة الشروط المناخية و الجيومورفولوجية. كما تميز هذا النمط من المساكن بهندسة معمارية نموذجية ومتجانسة و التي تستمد أصولها و مميزاتها من فطرة الإنسان بالتأقلم مع محيطه [2]

يمكن للقصر أن يضم مجموعة من القصور تعرف وتشتهر باسم واحد ، مثل قصر بودا بأدرار وقصر أولف الشرفاء وأولف العرب . فلقد كان الأول يشتمل على حوالي خمسة عشر قصرا بينما الثاني فيتكون من زهاء التسعة ، في حين يضم الثالث حوالي عشرة قصرا [3]

1-3 خصائص التكوين المعماري للقصور الصحراوية:

يتم اختيار موقع انشاء القصور الصحراوية حسب عدة شروط، شأنها شأن معظم المدن الإسلامية. وقد لخص أبو ذرع هذه الشروط في قوله: "أحسن مواضع المدن أن تجمع بين خمسة أشياء و هي: النهر الجاري، و المحراث الطيب، و المحطب

---

[1] علي حملاوي ، نماذج من القصور منطقة الأغواط، دراسة تاريخية و أثرية، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر 2006، ص 18

[2] 'Aba SADKI, Urbaniste-Environnementaliste, Urbanisme Et Dégradation De l'Habitat Traditionnel Des Oasis Du Sud-Est Marocain, Magazine d'Architecture en Ligne, www.Achi-Mag.com, 2009

[3] - cnt.H.Bissuel, Le Sahara français , conférence sur les questions sahariennes faite le 21 et 31 Mars1891, Alger Adolphe Jourdan, 1891, pp.33 et 46

القريب، و السور الحصين، والسلطان إذ به صلاح حالها، وأمر سلبها، وكف جبابرتها"[1]. يستمد النسيج المعماري للقصور الصحراوية مميزاته من العوامل المناخية للمناطق الصحراوية، ومن التقاليد الحضارية والعوامل الاجتماعية السائدة بالمنطقة و جلها منبثقة من الدين الإسلامي الحنيف الذي يدعوا إلى الحرمة و الحشمة و احترام الجار.

شيدت هذه القصور بشكل متراص تبدوا و كأنها كتلة واحدة، و لم يكن السبب في ذلك التقليل من أشعة الشمس فحسب، بل تمثل هذه الظاهرة التضامن و التآزر الذي يربط سكان هذه قصور الصحراوية ببعضها.

يتكون القصر من مجموعات سكنية تحاط في معظم الأحيان بأسوار تتخللها أبراج حراسة، و تنقسم هذه المجموعات السكنية بدورها إلى أحياء ، و التي كانت في بعض القصور منفصلة عن بعضها البعض بواسطة سور، به باب تفتح أوقات السلم وتغلق عندما تشتعل نار الفتنة وتشتد العداوة بين ساكنيها ، مثلما كان الحال في كل من قصر تاويله والقصر القديم بالأغواط والقصر القديم بورقلة . ويفسر هذا التقسيم للأحياء الانتماء القبلي لكل مجموعة مثلما عرف في أغلب المدن الإسلامية[2] ، يحتوي كل قصر على مسجد جامع، و هو ما يعرف في معظم قصورنا الصحراوية بالجامع العتيق، بحيث يعتبر الجامع من لتكوينات الأساسية بالمدن الإسلامية، و يمثل محورا رئيسيا في تخطيطها، و اقتضت وظائفه الدينية و التعليمية والسياسية أن يكون موضعه وسط القصر ليكون قريبا من كل موضع فيه.

---

[1] – عثمان عبد الستار، المدينة الإسلامية، دار الآفاق العربية للنشر، الطبعة الأولى،1999، ص 96.

2 - 10G. Marcais, La conception des villes dans l'Islam, Revue d'Alger, t2, Alger 1945, p.526.

تربط الأحياء ببعضها البعض بواسطة مسالك وممرات و التي يفضل توجيهها في المناطق الحارة من الشمال إلى الجنوب، لتفادي تعرضها وتعرض مداخل البيوت إلى أشعة الشمس لمدة طويلة . بالإضافة إلى أن هذا التوجيه يساعد على استقبال الرياح الشمالية المحملة نوعا ما بالرطوبة مما يؤدي إلى التخفيف من شدة الحرارة. وقد كان لكل شارع أو زقاق وظيفته الخاصة، ولذلك فهي تختلف في مقاساتها، ولكن شريطة أن تتلاءم وأقصى ارتفاع وأضخم شيء يمر من خلالها[1]. و من ناحية التصميم فقد كانت الشوارع بالقصور الصحراوية كثيرة التعرجات و الانكسارات و ذلك لتوفير الظل و كسر حركة الهواء المحمل بالرمال، و كانت الشوارع الضيقة تسقف و ذلك لتوفير الظل والهواء البارد لمداخل المنازل خاصة بالصيف.

وتنقسم الشوارع إلى ثلاثة أنواع حسب دورها وأهميتها وهي:

1-الشوارع الرئيسية أو ما تعرف لدى الفقهاء بالطرق السابلة أو شوارع العامة والتي تعرف محليا في كثير من القصور بالحاف.

2-الشوارع الثانوية أو الطرق الفرعية، وتعرف بالسكة النافذة، أما محليا وفي معظم القصور تعرف بالدرب.

3-الدروب أو الأزقة الغير نافذة، أو ما يعرف محليا بالترتيب أو بالسقيفة.

أما الساحة أو ما تعرف بالرحبة، فهي الأخرى تلعب دورا لا يستهان به داخل القصر، سواء من الناحية العمرانية أو الاجتماعية. فهي تعتبر نقطة إلتقاء لأزقة، وتيسر المرور لاتساع مقاييسها عن مقاييس الشوارع، وهي الفراغ الذي تتنفس منه الأحياء السكنية المتراصة والمتداخلة فيما بينها من خلال الممرات. وهي المكان الذي يستلهم

[1] – علي حملاوي، المرجع السابق، ص. 14

منه الضوء، بحيث تكسر من حدة الظلام الحالك المخيم على الدروب والأزقة نتيجة تسقيفها. وهي أيضا المجال الملائم لكل النشاطات الاجتماعية كالأفراح وغيرها. كما يوجد أحيانا في بعض الأحياء رحبات خاصة. وهي عبارة عن ساحة فسيحة نوعا ما ينتهي عندها الدرب المؤدي إلى المنازل، وبها تفتح أبواب الدور. وهذه الرحبات غالبا ما يسكنها أفراد عائلة تربطهم علاقة ما[1].

1-4 محددات البناء بالقصور الصحراوية:

تتميز البيئة الطبيعية للمناطق الصحراوية بملامح خاصة تكتسب فيها الخصائص المحلية لكل موقع، بحيث يظهر تأثير الظروف المناخية على عمارة القصور الصحراوية يتضح ذلك في الأشكال والمعايير الآتية:

- شبكة طرق وساحات ضيقة و متعرجة و أجزاء منها مغطاة.
- ارتفاع جدران السطح لاستخدامه للنوم و الأنشطة الاجتماعية.
- فناء داخلي منظم لدرجة الحرارة خلال ساعات الليل و النهار.
- استخدام الطوب و الحجارة بأسماك كبيرة للعزل الحراري.
- بناء الأسقف السميكة من الجريد و جذوع النخيل و أشجار أخرى.
- طلاء الأسطح الخارجية بالمواد الطبيعية من البيئة لتقليل امتصاص لحرارة.
- زيادة التشجير لمنع انعكاس الإشعاع الشمسي[2].

---

[1] - علي حملاوي ، المرجع السابق، ص. 17

2 . فجال خلد سليم، العمارة و البيئة في المناطق الصحراوية، الدار الثقافية للنشر، مصر،2002، ص 33.

2 -المحيط الطبيعي للمنطقة (الإطار الجغرافي):

2-1 تحديد الموقع:

2-1-1 الموقع الإقليمي:

تقع بلدية عين ماضي بولاية الأغواط، تبعد عن المقر الولائي بحوالي 75كلم غربا، وتبعد الولاية عن الجزائر العاصمة بحوالي 400 كلم جنوبا. يحدها من الشمال ولاية تيارت ومن الغرب والجنوب الغربي ولاية البيض ومن الشرق والشمال الشرقي ولاية الجلفة ومن الجنوب ولاية غرداية. وهي بهذا التحديد تعتبر من الولايات الواقعة على الحدود الشمالية للصحراء.

2-1-2 الموقع الإداري:

تقع بلدية عين ماضي غرب الولاية، يحدها شمالا بلدية تاجموت و بلدية واد مزي، و من الشرق بلديتي الحويطة و الخنق، و من الجنوب الشرقي بلدية حاسي الرمل و من الجنوب بلدية الضاية (ولاية غرداية)، و من الجنوب الغربي بلدية بريزينة (ولاية البيض) و من الغرب تاجرونة ومن الشمال الغربي بلدية الغيشة[1].

تتربع بلدية عين ماضي على مساحة 4075 كلم وعلى ارتفاع أكثر من 600 م عن سطح البحر، ويبلغ تعداد سكانها 11351ن/ إحصاء 2008[2].

1 P.D.A.U (Plan Directeur d'Amenagement et d'Urbanisme), p 6.
2 Ibid, p9.

2-2 التضاريس والشروط البنيوية

تتكون من سلاسل جبلية من المنحدرات الجنوبية لجبل العمور، أما الارتفاع فما بين 1450م (جبل البنية و1580م (جبل المكب)، مكونة حدود طبيعية شمال غربي البلدية[1].

2- 3 الهضاب

تدخل ضمن الهضاب الشبه الصحراوية والصحراوية، تختلف الإنحدارات ما بين 0% و 3% مائلة نحو الجنوب، يكون ارتفاعها ما بين 100م و 800م من الشمال إلى الجنوب.

2-4 البيئة الطبيعية للمنطقة

2-4-1 المناخ:

يعتبر المناخ من العوامل الرئيسية المساعدة في تأسيس المدن والقصور وفي نموها وتطورها، كما يقوم بدور أساسي في التحكم في مكونات المدينة مثل اتجاهات الشوارع والأزقة والبيوت وحتى في اختيار مواد البناء.

يتميز مناخ المنطقة بمناخ صحراوي، كما يتميز بشدة البرودة ورطوبة نسبية خلال فصل الخريف والشتاء ، وشدة الحرارة والجفاف صيفا ، كما يتميز بوجود الرياح الرملية، و مع أن الأمطار نادرة إلا أنها تحدث سيولا أحيانا[2].

أ- **الحرارة:** إن الحرارة في هذه المنطقة تتغير حسب تغير الفصول الأربعة، فهي جد مرتفعة في الصيف إذ تصل إلى 43° م في شهري جويلية و أوت، و منخفضة في الشتاء حيث تنزل أحيانا دون الصفر.

---

[1] P.D.A.U (Plan Directeur d'Amenagement et d'Urbanisme), p 6

[2] P.D.A.U (Plan Directeur d'Amenagement et d'Urbanisme), p11

-ب- الأمطار:

تتميز المنطقة بندرة الأمطار وعدم انتظامها ، فهي تتراوح ما بين 100 و200مم سنويا تتوزع على ستة وثلاثين يوما، و رغم ندرتها إلا أنها أحيانا تكون قوية و تسبب سيولا.

-ج- الرياح:

رياح الشتاء باردة جدا و خاصة عندما تسقط الثلوج في جبل العمور، و تكون رياح شمالية غربية. رياح الصيف تكون قوية و حارة تأتي من الشمال الشرقي أما الرياح الجنوبية فتعصف شهرين في السنة، و غالبا ما تكون محملة بالرمل خاصة في شهر أفريل و ماي.

2-4-2 الموارد المائية

رغم قلة الأمطار وعدم انتظامها ، فإن المنطقة تمتاز بوفرة مائها ، فهي عبارة عن شبكة مياه سطحية تبدأ من سفح جبل العمور شمالا، تغذي مسارات المياه الغير منتظمة و الذي يصب في واد مخابط و هو أحد روافد واد مزي[1]

2-5المداخل:

بلدية عين ماضي مرتبطة بالطريق الوطني رقم 23 عبر الطريق الولائي رقم 231 على بعد 37 كلم مرورا ببلدية تاجموت، و مرتبطة كذلك ببلدية الحويطة بواسطة طريق معبدة و غير مصنفة على بعد 25 كلم على الطريق الوطنية رقم 1، أين المسافة الكاملة الفاصلة بينها و بين المقر الولائي (الأغواط) 75 كلم.

[1] P.D.A.U (Plan Directeur d'Amenagement et d'Urbanisme), p11

3 –لمحة تاريخية عن قصر عين ماضي:

3-1 قبل تأسيس الطريقة التيجانية:

يرى بعض الباحثين أن تاريخ تأسيس قصر عين ماضي يرتبط ارتباطا وثيقا بتسميته المركبة من كلمتين هما: عين وماضي. فبالنسبة للكلمة الأولى "عين" يعتقد هؤلاء أنها تعود إلى العين الواقعة شمال المدينة على سفح جبل المركب، والتي كانت تمثل المورد الرئيسي والوحيد للسكان آنذاك. وتضيف الروايات الشفوية أن هذه العين تم اكتشافها من قبل أحد الرعاة، فأخبر قبيلته بذلك، ومن هنا بدأ التفكير في تشييد القصر. بينما يرى فريق آخر أن كلمة "عين" دلالة على ما عرفه القصر من ازدهار فكري، حيث كان يفد إليه الناس من جهات مختلفة ليغترفوا من علومه[1]. أما كلمة ماضي فيعتقد أنها نسبة إلى ماضي بن مقرب[2]، أحد أعيان قبيلة قرة التي وفدت إلى المنطقة قادمة إليها من طرابلس وقابس وشرقي أفريقيا[3] ، و يقال أنه هو من حفر العين في حوالي سنة 1050م ولم يستقر مما يجعل هذه الحقبة غابرة في تاريخ القصر.

و تتداول المراجع أن أول من عمر المنطقة كان أحد المرابطين الآتين من المغرب و الملقب بسيدي محمد" ، بحيث اشترى الأرض من أولاد يعقوب الزغارة من أجل إقامة خلوة له، بحيث عاش هناك لبعض الوقت وحده، و لكن رحيله من المغرب ترك فراغا بين تلاميذه، فالتحقوا به من أجل العيش معه[4]

---

[1] علي حملاوي ، المرجع السابق، ص.:56

[2] - محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، بيروت، ص.: 304.

[3] - نفسه، ص:305.

[4] - C. Trumelet, Histoire De l'Insurrection Dans Le Sud, Alger, 1861 , pp. 93-94-95

لكن الروايات الشفوية تقول أن " سيدي محمد" أقام خلوته على بعد 2 كلم من القصر أين توجد عين تسمى بعين "سيدي معين، و لكن هذه الجماعة التحقت بسكان القصر من أجل الاستقرار معهم، و يرجح انتقالهم لسببين هما:

• لوفرة الماء بالعين الموجودة بقصر عين ماضي أكثر من عين " سيدي معين"، فمن المعروف أن الناس قديما كانوا يسكنون ويتجمعون حول مصادر المياه.

– لضرورة اجتماعية و أمنية و ذلك من أجل تكبير المدينة و الحفاظ على أمن و حماية المجتمع.

وفد على القصر فرقتان: أولاد صالح والتجاجنة، وهم أول من عمر بالقصر بحيث بنو المسجد العتيق ومجموعة من المنازل كانت سمعة القصر معروفة منذ القرنين 11–12هـ/17م–18م بفضل الحركة العلمية التي شهدها آنذاك و كان بها عدد كبير من الفقهاء من أشهرهم سيدي زروقي وابنه سيدي أبو القاسم وسيدي أحمد الدهصاء[1]

و لكن مدينة عين ماضي لم تنل شهرة كبيرة تعدت الوطن العربي إلا بعد ظهور أحد الشخصيات الدينية التي غيرت مسارها، وهو أبو العباس أحمد التجاني (1150هـ/1737م–1230هـ/1814م) مؤسس الطريقة التجانية.

3–2 بعد تأسيس الطريقة التيجانية:

3 –2– 1 نبذة عن حياة الشيخ أحمد التيجاني" مؤسس الطريقة التيجانية:

هو الشيخ المربي الصوفي الكبير أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن محمد بن سالم، يرفع نسبه إلى محمد النفس الزكية و أمه عائشة بنت أبي عبد الله محمد بن

[1] – علي حملاوي، المرجع السابق، ص. 57/ الدرعي ، الرحلة ، مخطوط بالمكتبة الوطنية رقم 1954، ص.19

السنوسي التيجاني الماضوي نسبة إلى قبيلة (التواجنة) بني توجين عشيرة أخواله، و بهذه النسبة اشتهر اسمه "أحمد التيجاني[1].

ولد الشيخ أحمد التيجاني سنة 1150هـ/1737م بقرية عين ماضي، فمن سنواته الأولى تميز بالكفاءة في الدراسة و خاصة الأمور الدينية، و عندما بلغ 15 عاما، غادر القصر من أجل السفر و التعلم، ذهب أولا إلى فاس ثم إلى المدينة المنورة و القاهرة، و عاد إلى الجزائر سنة 1196هـ/1783م و استقر في البداية في قصر بوسمغون، و به كان تأسيس طريقته فمكث هنالك إلى سنة 1786م[2] ، وهو النظام الذي أخذ اسمه و سرعان ما كثر أتباع الطريقة في أنحاء شمال أفريقيا وأعماق الصحراء، وفي كل مكان في طرابلس وسوريا و في مصر. هذه الطريقة[3] سرعان ما انتشرت فروعها ونفوذها الديني، وطلب العديد من المسلمين أن يصبحوا دعاة وأعضاء في الطريقة. وأما تلامذته وأتباعه و مريدوه فكثيرون، وقد تصدى بعضهم لإحصاء أتباع طريقته سنة 1890م فبلغوا 000 25 نسمة و هم منتشرون بكامل أقطار المغرب العربي كما يوجد عدد كبير منهم بافريقيا و بإفريقيا الوسطى، و في مصر و الحجاز أيضا و لهم من الزوايا بالقطر الجزائري فقط 17 زاوية كما أن لهم غيرها بباقي الأقطار الإسلامية الأخرى[4]

ففي وهران لم يغفل الباي عن هذه الفريسة الغنية، ففي عام 1783، حاصر باي وهران محمد الكبير قصر عين ماضي بسبب خلاف بين أحد جنوده وأحد سكان عين ماضي، بحيث هدم جدران الحدائق إلى أن وصلوا إلى أسوار المدينة، انسحب

---

[1] عبد الرحمان محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، بيروت، ص.ص. 51-52

[2] عبد الرحمان محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، بيروت، ص. 54

[3] C. Trumelet, opcit, pp. 96

[4] C. Trumelet, opcit, pp. 97

التيجاني إلى بوسمغون، أين كان له عدة ممتلكات. أما بالنسبة لسكان عين ماضي فقد طردوا من قصر، و اشترط محمد الكبير دفع ضريبة سنوية مقابل رجوعهم إلى القصر في سنة 1787.

و كانت وفاة الشيخ يوم 22 سبتمبر 1815م عن عمر يناهز 67 سنة، و ضريحه متواجد بزاويته المشهورة باسمه إلى اليوم بحي (البليدة) من مدينة فاس، و ترك ولدين هما محمد الكبير و محمد الصغير المعروف بالحبيب[1].

3- 2- 2 تاريخ القصر بعد موت المؤسس الشيخ أحمد التيجاني":

بعد موت الشيخ التيجاني رجع ولداه إلى مسقط رأس والدهما بناءا على وصيته، إلى قصر عين ماضي من أجل العيش هناك، وقام ابنه محمد الكبير بخلافته في ترأس الطريقة التيجانية التي أصبح مقرها بعين ماضي.

كان الزوار يأتون من كل مكان محملين بالهدايا وسرعان ما أصبحت زاوية عين الماضي من أغنى الزوايا، ولكن لسوء الحظ، فإن هذا الازدهار أثار طمع سادة التل، واللذين حاولوا في عدة مناسبات إخضاع القصر، وافق التيجاني على دفع رسم سنوي للحكومة التركية[2] في سنة 1827 قبل سيدي محمد الكبير اقتراح أولاد " هاشم غريس"، و تمثل هذا الاقتراح في شن حملة مفاجئة على معسكر بعد الاستيلاء على الحامية العسكرية التركية. انطلق الشيخ التيجاني على رأس 400 فارس نحو معسكر[3] و حاصروا القصر، لكن الباي حسن سرعان ما انطلق من وهران من أجل إنقاذ معسكر المهددة من

---

[1] عبد الرحمان محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص. 57

[2] C. Trumelet, opcit, pp.97

[3]-الرحمان محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص. 58

طرف التيجاني، وسرعان ما انقلبت الأمور بحيث وجد التيجاني نفسه محاصرا [1]، قتل محمد الكبير بسهل غريس، وأرسل برأسه ورؤوس من معه إلى الجزائر حيث علقوا قبالة باب عزون. .

كان لهذه الحادثة أثرها في نفوس سكان عين ماضي، ومن الأسباب التي دفعت بخليفته وأخيه محمد الصغير (المولود سنة 1799م) إلى الاهتمام بأسوار وتحصينات القصر[2]، ثم اتجه لتطوير السلطة الروحية والسلمية للأخوية التيجانية، و شيئا فشيئا زاد انتشار الطريقة كما دخلت الزاوية في التجارة المربحة في عدة مجالات سنوات بعد دخول الاستعمار الفرنسي للجزائر أراد الأمير عبد القادر أن يعطي نفس جديدا للمقاومة من خلال جمع شمل القبائل المتناثرة تحت رايته خاصة المناطق التي لم يمتد إليها الاستعمار، بحيث كان يتبادل الرسائل مع التيجاني نظرا لوزن الطريقة التيجانية في الصحراء، لكن بدون جدوى· إن محمد التيجاني لم يكن ينظر إلى الأمير عبد القادر كزعيم وطني بقدر ما كان يرى فيه زعيما للطريقة القادرية يهدف إلى اخضاع الطرق الأخرى، وهذه النظرة تكونت لدى محمد الحبيب التيجاني بعد أن غدر أهل سهل غريس بالتيجانيين أثناء ثورتهم ضد العثمانيين في معسكر سنة 1827[3]

و بعد أن يئس الأمير عبد القادر من التفاهم مع التيجاني تقدم بجيشه في 12 جوان 1838 إلى عين ماضي بحيث عسكر أمام أسوار عين ماضي ، و أول مهمة له هي قطع مصدر المياه عن القصر، ثم قام بإزالة الحدائق النخيل المحيطة بالقصر، ثم بدء بقصف أسواره لكنه فشل في خرق أسوار عين ماضي فبعث بوفد إلى التيجاني من أجل

---

[1]- C.Trumelet, opcit., pp.102

[2] . حملاوي علي، المرجع السابق، ص. 58

3 –تلمساني بن يوسف، الأمير عبد القادر و التيجانية، مجلة الرؤية، جانفي فيفري 96، ص. 72

مطالبته بالاستسلام و لكن محمد التيجاني رد عليه بالرفض، و بهذا بدء الأمير حملة قصف أخرى على القصر و لكنها باءت بالفشل، و بذلك دام حصار الأمير لقصر عين ماضي ثمانية أشهر في 16 نوفمبر 1838م وصل شقيق الأمير و صهره، اللذان طلبا من الأمير عبد القادر أن يترك لهما أمر التفاوض مع التيجاني، و فعلا دخلا إلى المدينة و شرحا للشيخ أهداف الأمير و أنه لن يطيل بقاءه بالمدينة. وبعد لقاء ثان إتفقا على الإستسلام بالشروط الآتية:

– يدفع التيجاني تعويضات للأمير، قدرها 1500 بيجو أي ما يعادل 27000فرنك.

–إخلاء المدينة في مدة أقصاها 40 يوما.

–للتيجاني الحق في حمل كل ما يريد، و على الأمير أن يوفر له وسائل النقل

–رفع الحصار وتراجع الأمير بثمانية أميال حتى يسمح التيجاني بالترحال لا يرسل التيجاني إبنه و 12 من أعيان المدينة رهائنا كضمان حتى يتم لاتفاق[1] فقبل التيجاني الشروط المذكورة وأمضى عليها و أرسل ابنه معها، و عندما انتهت المهلة المحددة خرج الشيخ بجنوده و حشوده، و لم يتخلف في الحصن إلا المستضعفين. فأمر الأمير بتدمير المدينة وتسوية حصنها وأبراجها و دورها بالأرض[2].

بعد وفاة الشيخ محمد الحبيب آلت الخالفة إلى إبنه أحمد عمار التجاني و لكن نظرا لصغر سنه حوالي 3 سنوات. تولى الخلافة عنه محمد العيد التماسيني حتى عودة احمد عمار من الإقامة الجبرية ببوردو في فرنسا سنة 1868 م. تولاها بعده على التوالي

---

[1] تلمساني بن يوسف، المرجع السابق، ص:. 76–77.

[2] * إبراهيم المياسي، أطماع فرنسا في الأغواط، مجلة الرؤية، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، ماي /جوان 1996، ص:12.

- "سيدي البشير التجاني" : من 1896 الى 1910.

- "سيدي علال التجاني" : من 1910 الى 1919.

- "سيدي محمد الكبير التجاني" : من 1919 الى 1931.

- "سيدي محمود التجاني" : من 1931 الى 1934.

- "سيدي الطيب التجاني" : من 1934 الى 1973.

- "سيدي علي التجاني" : من 1973 الى 1990.

- "سيدي عبد الجبار التجاني" : من 1990 الى 2005.

- "سيدي الحاج محمد التجاني" : من 2006 إلى 2010.

- "سيدي علي الملقب بلعربي التجاني : وهو منذ 4 أكتوبر 2010 الخليفة العام الثاني عشر و الحالي[1].

[1] - **الموقع الرسمي للطريقة التيجانية** WWW . TIDJANIYA . COM

4 -التطور العمراني لقصر عين ماضي عبر التاريخ:

من المعروف أن السكان قديما كانوا يبنون مدنهم في الأماكن التي تتوفر بها مصدر المياه، وهو حال مدينة عين ماضي فالسبب الرئيسي في انشاء القصر كانت العين الواقعة شمال المدينة، فقد كانت تمثل المصدر الوحيد للسكان آنذاك.

اعتمادا على الروايات الشفوية فإن القصر بني منذ ما يقارب عشرة قرون، علي يد قبيلة البدو أولاد صالح و قبيلة التجاجنة، و لكن معظم قبيلة أولاد صالح لم يستقروا بالقصر و رحلوا فيما بعد[1].

4 -1 المرحلة الأولى (القرن 17/11 م) :

وانشأت مدينة عين ماضي فوق ربوة من أجل توفير الحماية حالها حال معظم المدن العربية، وأول ما بني كان منزل الإمام في قمة الربوة ثم بني المسجد العتيق بجانبه من الجهة الشرقية. وبعدها بني صف مزدوج من المنازل (ما يقارب 12 منزلا من الجهة الغربية. (مخطط رقم :01)

4-2 المرحلة الثانية (القرن 17/ 18م):

وبازدياد شهرة مدينة عين ماضي ازداد الوافدون إليها وازداد بناء وتشييد الدور والمنازل، بحيث اتخذ التوسع الجهتين الشمالية والجنوبية. وبذلك اكتسب القصر هيكلة عمرانية وكانت آنذاك من ثلاثة شوارع رئيسية وهي:

1. الحاف (الشارع) القبلي (الجنوبي)
2. الحاف الوسطاني (الأوسط)

[1] علي حملاوي ، المرجع السابق، ص. 61

3. الحاف الظهراوي (الشمالي)

مازالت هذه الهيكلة العمرانية سارية المفعول إلى وقتنا الحالي.

4 3 المرحلة الثالثة (القرن 18/ 19):

بارتفاع عدد سكان عين ماضي أصبح من الضروري التوسع في العمران و بناء منازل جديدة، و بذلك تكونت الجزيرة المتواجدة بالجهة الشمالية للقصر، لأنه حسب الروايات الشارع متد بين هذه الجزيرة و باقي القصر هو حديث الإنجاز بالنسبة للشوارع الأخرى.

4 4 المرحلة الرابعة (القرن 19/ 20):

و بعد حملة الأمير عبد القادر و بعد رجوع محمد الحبيب لتيجاني إلى مدينته أعاد بناء الأسوار، و من ملاحظتنا للقصر و على حسب البنية و تركيبة القصر من الجهة الجنوبية دليل على ذلك تغير مكان الباب الكبير من مكانه بجانب منزل التيجاني إلى مكانه الحالي بجانب مسجد الزاوية التيجانية.

4-5.المرحلة الخامسة:

بقي الناس يسكنون داخل أسوار قصر عين ماضي إلى غاية 1940، أين بدأوا ببناء المساكن خارج القصر و ذلك راجع لاكتظاظ القصر بالمساكن و تحديد مساحته بواسطة الأسوار و الحدائق من جهة، و ظهور التجمعات السكنية الجديدة من جهة أخرى[1]. **مخطط رقم 03**

[1] علي حملاوي ، المرجع السابق، ص. 62

الفصل الثاني

الفصل الثاني: دراسة وصفية للقصر

1-الهيكلة العمرانية للقصر

2-الوصف العمراني للقصر

3-التحصينات والاسوار للقصر

4-أبواب والمداخل للقصر

5-مواد البناء واساليبها

1 -الهيكلة العمرانية للقصر:

يتخذ القصر عين ماضي مورفولوجيا الشكل الهرمي حيث تحتل القراءة الرأسية المركزية المسجد العتيق دلالة على القوة الروحية ثم ترسم حول هذا المركز شبكة عنكبوتية متماسكة تبدأ من الأعلى إلى الأسفل بالسكنات و تفصلها الدروب و المسالك ثم الرحبات يليه الأسوار وتدخل المرافق المتواجدة خارج الأسوار كالحدائق والمقابر مع شبكاتها للسقي ضمن التشكيلة العامة للمرافق المشكلة لهذه التجمعات السكنية معطيتا مظهر للقصور من حيث النمط العمراني و الطابع الصحراوي.

ا-شكل القصر:

القصر عين ماضي شكل دائري، يشتمل على بروزات ودخلات، أو كما عبر عنه كل من الجنرال دوماس وفرومنتان ومالت ستان بأنه عبارة عن بيضة نعامة شقت طولا[1] وهو ما فندته معظم المراجع التي تناولته بالوصف.

ويمكننا أن نصنف قصر عين ماضي ضمن تصنيف الدكتور عبد الرحمان أيوب والذي اعتمد في تصنيفه على المظهر الخارجي للمنشآت وتأريخها كذلك، ويندرج قصر عين ماضي ضمن الصنف الدائري وتعود بداية ظهوره إلى أواخر القرن 11 / 5 م ويمثل هذا النمط حسب د. أيوب صنفا متطورا عن الأصناف السابقة الذكر، وذلك من حيث مساحة الخزن وتوزيعها. ومن ميزاته أنه يساعد في المحافظة على المخزون الفلاحي بطريقة أفضل، كما يمكن من تطوير العمارة ذات الطوابق المتعددة. ولهذا الصنف تعود أغلب القصور الموجودة بالجنوب الجزائري، مثل قصر تاجموت بالأغواط

[1] – هاينريش مالتسان، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، ترجمة د. أبو العيد دودو، ج3

[1]و قصر بني يزقن بغرداية والقصر القديم بورقلة وقصور منطقة وادي ريغ وقصر متليلي وقصر المنيعة ...الخ.

لقد تعرض قصر عين ماضي إلى عدة عمليات إصلاح وإضافة أو هدم وتخريب، ولكن هذه العمليات لم تأثر على جوهره وطابعه، بل مست بعض المنشآت فقط. و نستطيع أن نذكر من ذلك توسعة الجامع العتيق، هدم جزء من السور أو اضافة جزء آخر، فتح باب أو شارع جديد...الخ. ومن خلال ملاحظة المخطط الحالي للقصر و المخططات القديمة، كمخطط ابن الكسكسه قائد مدفعية الأمير عبد القادر، أو مخطط الجنرال دوماس فإننا نجد أن الإضافات التي حدثت بالقصر افقدته نوعا ما شكله الدائري

ب / تخطيط القصر:

نظرا لعدم وجود دراسات حول القصر ومعلومات دقيقة حوله خصوصا من خلال الرحالة العرب، فيما يخص وصف القصر وتخطيطه، وتغير بعض معالمه إثر الإضافات والتجديدات التي أدت إلى اندثار بعض معالمه كالسور الرئيسي والمساحات التي كانت فارغة والمداخل الرئيسية، ولذلك فإن المعطيات التي نتحصل عليها قد تكون صحيحة إلى حد ما أو خاطئة، ولذلك وجب علينا الأخذ بالروايات الشفوية رغم افتقادها إلى البراهين العلمية وتناقضها أحيانا، إضافة إلى الخرافات الحاملة لتلك المعلومات، يبقى هذا في غياب الوثائق المادية كالمخطوطات التي تم حرقها في فترات سابقة وسرقة بعضها، وامتلاكها لأشخاص وعدم إظهارها لأغراض شخصية.

---

[1] L.C.DAUMAS, Le Sahara algérien, , Rue Bab-Azoun Alger, Paris, 1845. p287.

[1]– هاينريش مالتسان، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، ترجمة د. أبو العيد دودو، ج 3 ص113

لقد كان للموقع الجغرافي للقصر بموقعه فوق ربوة أثر في تحديد نمط تخطيطه العمراني الذي أخذ الشكل الدائري، فالمعروف عن المجتمعات السكنية التي كانت تلجأ إلى الأماكن المرتفعة لتسهيل عملية الدفاع والحماية، وهذا شرط من شروط قيام المدينة الموقع الاستراتيجي وبالتالي فإن موقع القصر وتخطيطه خضع إلى شكل الهضبة أما التدرج في المساكن فراجع إلى شكل الهضبة وكذلك النمو الديمغرافي لسكان القصر مما اضطر أهل القصر لبناء الأماكن الفارغة كما كان بنائهم من مادة الحجارة في اغلبها.

وفي تخطيط القصر هناك عدة قصور صحراوية تشبهه كالقصر القديم بغرداية، كقصر غرداية بحكم موقع مسجده ومئذنته العالية وشكله الدائري والتدرج في مساكنه، كما توجد هناك قصور دائرية الشكل كقصر الغاسول بالبيض، وقصر تماسين بأدرار، مع ذلك نجد أنماطا متعددة للقصور الصحراوية حسبما قسمه الباحثون من أنماط مختلفة فمنها النمط ذو الشكل المستطيل والمربع والمضلع والنمط الدائري اعتمادا على معطيات تاريخية، والشكل العام للقصور وتوزيعها الداخلي، وذلك دون وضع سلم زمني مضبوط وموحد يساعد الدارسين على إرجاع كل نمط إلى فترة زمنية معينة، كما أن تعدد الأنماط كان نتيجة لاختلاف الرؤى بين الدارسين، ففريق يرى اعتماده على التنميط للشكل الخارجي للسور، وفريق آخر يرى أن التخطيط الداخلي للقصر هو في كيفية توزيع الأزقة والدروب بداخله كفيل بتحديد نمطه، أما الفريق الثالث فيعتقد بأن تنميط القصور يعتمد بالدرجة الأولى على وجود القصبة بالقصر من عدمها، في حين ينتقد الطرف الرابع التقسيمات السابقة ويرى أنه علاوة على ما سبق ذكره من نصوص تاريخية والشكل) .الخارجي للقصر، إضافة إلى الأدلة الأثرية[1]

كما أن الشكل الدائري حسب إيشاليي هو طراز محلي وليد البيئة الموجودة به[2]

---

[1] علي حملاوي : نماذج من قصور منطق الأغواط دراسة تاريخية و أثرية ، م . و .ف .م، وحدة الرغاية، الجزائر 2006 .، ص46

[2] علي حملاوي :(مواقع أثرية من الجنوب الشرقي الجزائري) لمنطقتا ورقلة و وادي ريغ(، مجلة بحوث جامع الجزائر، 199 ص70 ، العدد5)

ويرى عبد الرحمن أيوب أن النمط الدائري ظهر أواخر القرن5 هـ 11 / م، ومن مزاياه أنه يساعد على حفظ المنتجات الفلاحية بطريقة أفضل وأنه نمط عربي[1]

2-الوصف العمراني للقصر:

اتخذ قصر عين ماضي في شكله العمراني الشكل الشبه دائري مغلق بسور دفاعي به فتحات عبارة عن مداخل للقصر ضم المباني المتضامنة و المتراكمة مشكلة تخطيط عنقودي يحتوي الشوارع و الازقة متدرجة من الشارع الرئيسي الى الثانوية و قد تكون مغلقة في نهاياتها تكون مسقوفة او غير مسقوفة و تحتوي صاباطات و هي غالبا متعرجة و منحنية و منكسرة تشكل زوايا في المسار المتدرج من العام الى الخاص تحتوي على رحبة أحيانا او مرافق اقتصادية مثل دكانات يقوم النسيج العمراني للقصر وفق عادات وتقاليد سائدة بالقصر وشروط مستمدة من الحضارة الإسلامية الرامية إلى حماية السكان من الفضوليين، وكذا التماسك مابين المجتمع المحلي لذلك بنيت منازل القصر بشكل متضام لبعضها البعض وكأنها كتلة واحدة، وأخذ الشكل المتدرج وذلك لارتفاع البيت عن الآخر دون المساس بالحرمة، وهي ظاهرة فرضها الموقع الجغرافي للقصر

2-1المحيط الخارجي:

تحيط بالقصر من الخارج البساتين والحدائق نصل لهذا القصر عبر طريق رئيسي واحد لا غير بعبور الوادي والاتجاه نحو الغرب ليوصلنا إلى الباب الرئيسي المدخل الباب الكبير هذه البساتين تحيط بها من الشمال الشرقي والشرق والجنوب بمحاذاة الوادي، ومن معروف في القصور الصحراوية بالجهة الغربية هناك المدرسة

[1] -أيوب عبد الرحمن : (من قصور الجنوب التونسي " القصر القديم " ، النقائش ، المنظمة العربية و الثقافة و العلوم ، تونس 1988) .م ، ص134

النظامية فرنسية وهي تقع بمحيط القصر ومصدر مياه القصر هو العين التي تبعد ب 2كم شمالا لتصل وتسقي الحدائق والبساتين بواسطة الساقية .

2-2 المحيط الداخلي:

أحيط القصر بسور دائري عليه يختلف ارتفاعه من أسفل الهضبة إلى أعلاها مبني بواسطة الحجارة في اغلبه و يخص السور الدفاعي و هو متلاصق مع المباني الخارجية للقصر اما فيما يخص سور الحدائق فهو مبني من الطوب وأساساته مبنية بواسطة الحجارة ويتخذ الشكل الدائري ليلتصق بأظهر المساكن، كما أن سمك الجدار يساعد على تماسك وصلابة الجدران، تخلله مزاغل للمراقبة مدعم بواسطة أبراج صغيرة، ولقصر عين ماضي مدخلان رئيسيان مدخل الكبير ومدخل الساقية، وأضيف له مدخل سري و اخر للدخول الى البساتين في الجهة الغربية في فترات لاحقة.

لقد تعدد المداخل بالمدن الإسلامية تمكن من فسح المجال للناس حتى لا يتزاحموا أثناء دخولهم وخروجهم كما تسمح لكل فرد استعمال الباب الأقرب منه[1] ،وعرفت القصور الصحراوية تعددا في المداخل فمنها ما لديه مدخل واحد و من لديه عدة مداخل بحسب الوظيفة المراد منها مداخل رئيسية و أخرى ثانوية .

يتكون القصر من الداخل من مجموعة سكنية، موزعة على مساحة القصر وتنقسم هذه المجموعات إلى عدة أحياء هذه الأحياء لم تكن منفصلة فيما بينها بسور مثلما هو في بعض القصور الصحراوية، كما يتمحور القصر في تكوينه على المسجد العتيق الذي كان الأصل يقع هذا المسجد فوق الهضبة في وسط القصر، فهو مركز الثقل والنواة الأساسية للقصر تماما حسب التنظيم العمراني للمدن الإسلامية، كما تتوزع عليه المنازل، و ترتبط به اغلب المسالك و الازقة ، وهذا يدل على مدى روح التآخي

[1] .القز ويني) زكرياء بن محمد : (آثار البلاد و أخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، 1960 ص8

والارتباط والتآزر بين سكان القصر رغم اختلاف أصلهم إلا أنهم كالعائلة الواحدة، ويرتبط المسجد بواسطة مسالك وممرات مختلفة التوجه منها المتجهة من الجنوب إلى الشمال، ومن الغرب إلى الشرق، تفتح فيها مداخل البيوت لتفادي أشعة الشمس واستقبال الرياح الشمالية، والاتجاه من الغرب إلى الشرق قليلا ما تفتح فيها مداخل البيوت، أما شوارع القصر فهي تختلف في مقاساتها شرط أن تكون متلائمة مع استعمالات السكان اليومية وما يميز القصر هو احتوائه على شوارع مسقفه المظلمة ، فالمسالك هي العنصر الأساسي في تشكيل هيكل القصر، فهي تربط بين النواة الأساسية وبقية هياكل القصر كالمنازل والرحبات، وتنقسم الشوارع إلى شوارع رئيسية وشوارع ثانوية التي تعرف بالدرب أو الأزقة، كما للقصر شوارع غير نافذة، تتميز هذه الشوارع بالالتواء والتعرج وشكلها الدائري متبع الشكل الدائري للقصر فالشوارع الرئيسية هي تلك المسالك الرئيسية للقصر التي تربطه مع المناطق المجاورة له كالبساتين والمقابر، كما يتم الاتصال بالوحدات الرئيسية للقصر كالمداخل والرحبات، والمسجد الذي هو النواة الأساسية للقصر والقلب النابض له، لقد أولي سكان القصر عناية فائقة بالشوارع باعتبارها من الأماكن المشترك بين أفراد المجتمع، ووفق ما أملته العمران الإسلامي الذي يحث على المحافظة عليه ونظافته وعدم إعاقة المارة به لقول الرسول – (صلى الله عليه وسلم) – أعطوا الطريق حقه. وعليه نجد الشارع أو الطريق في القصر متنوعا يأخذ الحجم المناسب لحركة المارة من اتساع وامتداد، كما أن تشييده يتوقف على حركة السير المتوقعة كما يتمركز بهذه الشوارع النشاط التجاري مثل الدكاكين، واختلفت مقاسات الشوارع في القصر فمنها ما يمتاز بالضيق إذ يتراوح عرضه من 1.9 إلى 2.7 م، نجد هذا النوع بالجهة الجنوبية أسفل الهضبة وكذا بالجهة الشرقية أسفل الهضبة وتتميز هذه الشوارع بعدم وجود الزوايا القائمة بها وذلك لالتوائها وتعرجها، وهنا لتخفيف حدة أشعة الشمس، واستغلال الظل، وتكسير التيار الهوائي والزوابع الرملية التي غالبا ما تتعرض لها المنطقة، أما الشوارع المتصلة بالمداخل الرئيسية للقصر فقد بلغت ما يقدر ب 3.5 م وأحيانا يصل إلى 4

م ،وشوارع القصر كلها مرتبطة بالرحبات الموجودة بالقصر وكذلك المسجد حيث يحتوي القصر على أربعة شوارع رئيسية اثنان منها في الجهة الجنوبية متصلة بالمدخل الشرقي مباشرة وأحدها متصل بالمدخل الغربي والمدخل الثالث بالجهة الغربية، وشارع أخر يقع بالجهة الشرقية أسفل الهضبة، والأخير بالجهة الغربية متصل بالمقبرة. تتفرع عن الشوارع الرئيسية شوارع ثانوية تقتصر مهمتها في التنقل من الشوارع الرئيسية إلى الدروب أو الأزقة، ولذلك اتساعها يكون أقل من الشوارع الرئيسية باعتبارها طرق فرعية قليلة النشاط وفيها شوارع غير نافذة يصل عرضها من 2.0 م إلى 2.5 م، هذه الشوارع منها ما هو متصل بالشوارع الرئيسية أو الرحبات أو المسجد.

3-التحصينات

لقد عمل المسلمون منذ أن أنشأوا مدنهم، على تزويدها بجملة من الوسائل الدفاعية، بداية من اختيار الموقع المرتفع الأمن إلى تشييد الأسوار والأبراج وحفر الخنادق، ففي بلاد المغرب كانت معظم المدن محاطة بالأسوار المدعمة بأبراج المراقبة والدفاع ، فلقد أحيط قصر عين ماضي بأسوار ضخمة وقوية، أتي على ذكرها معظم الرحالة على رأسهم الرحالة الألماني مالتسان بحيث قال: "كانت عين ماضي أحسن حصن في الجزائر كلها، على الأقل أحسن حصن بناه العرب "[1]

كان سبب تأسيس هذه الأسوار الحملات العسكرية المتواصلة التي عرفتها مدينة عين ماضي ، ففي سنة 1783م هدم باي وهران أسوار القصر أثناء حملته العسكرية على عين ماضي، أين انسحب الشيخ أحمد التيجاني إلى مدينة فاس بالمغرب و بعد ذلك بعث أحد أخوان الطريقة التيجانية " المهندس محمود التونسي" في سنة 1790م إلى عين ماضي من أجل تقوية أسوار القصر، بحيث بني جدران صلبة ارتفاعها 12م

[1] مالتسان المرجع السابق ص253

و سمكها 2م، مبنية من الحجارة المصقولة، و دعم الجوانب و زود الأسوار بعدة مزاغل من أجل الدفاع[1].

وبنيت هذه الأسوار مكان الأسوار القديمة المهدمة والتي كانت مبنية من الطوب المجفف في الشمس[2]

كان لهذه الأسوار شكلا دائريا، وكانت تتكون من:

1) أسوار الحدائق مبنية من الطوب وتتخللها أبراج وتبعد 300 م من أسوار المدينة.

2) أسوار المدينة و هي فائقة الصلابة، مبنية بشكل جيد تحتوي على فتحات.

3) الأسوار الداخلية للقصر محاطة من الخارج بأسوار أخرى موازية لها و التي تشكل الحدود الداخلية للحدائق، مما يخلق ممرا ضيقا بينها و بين أسوار القصر[3].

الأبواب :

الباب هو المدخل في سور المدينة أوفي واجهة المسجد أو قصر أو جدار بيت أو بين الغرف وقد يكون بصراع واحد أو اثنين ، وقد تميزت المداخل الأبنية العامة والقصور في العمارة الإسلامية بضخامتها، وغالبا ما ارتفعت أطرها وعقودها حتى بلغت علو جدران الواجهة وربما جاوزتها ارتفاعاه، فأبواب أسوار المدن كانت مرتفعة بحيث يمكن للفارس أن يلجها وهو على ظهر فرسه ويحمل العلم أو الراية أو الرمح الطويل دون أن يميل أو يقاس بارتفاع شخص يركب جملا يمر بسهولة أسفلها ويكون هناك فراغ يعلوه يؤمن سلامته، أما بالنسبة لعددها فقد يتراوح ما بين مدخلين إلى أربعة وذلك حسب المساحة التي يشغلها القصر، ولتعدد المداخل الأهمية في فسح المجال للناس حتى لا

---

[1] المرجع نفسه ص254

[1]- . C. Trumelet, opcit, pp.98

[2] M.Emerit, opcit., p 217

يتزاحموا أثناء دخولهم وخروجهم، كما يسمح لكل فرد باستعمال الباب الأقرب منه[1]. بالنسبة لقصر عين ماضي فقد احتوى بابين رئيسين وبابين ثانويين كل لاستعمالاته في السلم و الحرب. يحتوي قصر عين ماضي حاليا على أربعة أبواب كلها كانت تغلق في المساء وهي: (الصورة رقم: 01)

ا-**الباب الكبير**:

يقع حاليا بالجهة الجنوبية للقصر، شيد في وقت الشيخ محمدالحبيب التيجاني، بحيث يعتبر المدخل الرئيسي للقصر فتح في السور مباشرة يكتنفه برجان شاهقان.

ب -**باب الساقية**:

فتح من الجهة الغربية وسمي بهذا الإسم نتيجة فتحه بجانب لساقية التي توصل الماء إلى الحدائق، والسبب الوحيد لفتحه هو تسهيل لى سكان القصر الوصول إلى حدائقهم التي تقع بالجهة الغربية

ج-الباب الشرقي:

كما فتح باب ثالث في سنوات الأربعينيات من القرن لعشرين بعد ما ساد الأمن وانتهت الحروب، وكان سبب فتحه التسهيل على السكان الوصول إلى بساتينهم من الجهة الشمالية بدل الخروج من الباب الكبير، بحيث كان عبارة عن فتح جهة من السور.

د-**الباب السري**:

فتح في الجهة الشمالية الشرقية من القصر وهو عبارة عن دخل منكسر، يستعمل لمساعدة الحاكم على الهروب في حالة ما إذا ضاقت السبل.

[1] عثمان عبد الستار، المدينة الإسلامية، دار الآفاق العربية للنشر، الطبعة الأولى،1999، ص 97

4-1-في الشوارع

4-1 الشوارع الرئيسية:

و تسمى الحاف أو الدرب و هي ما أطلق عليها الفقهاء "الطريق السابلة"، "طريق المسلمين"، "الطريق العامة" أو "الطريق الرئيسية "[1]، و إذا رجعنا إلى التطور المعماري للقصر نجد أن قصر عين ماضي يتكون من أربعة شوارع رئيسية متوازية نافذة يبلغ متوسط عرضها حوالي ثلاثة أمتار، تميزت هذه الشوارع بالالتواء و التعرج و عدم وجود زاويا قائمة بها، و السبب في ذلك يكمن في التخفيف من حدة أشعة الشمس و استغلال الظل أكبر قدر ممكن و تكسير التيارات الهوائية و الرياح العنيفة التي غالبا ما تتعرض لها المناطق الجنوبية، علاوة على ما توفره من ميزة سيكولوجية لسائر بها فهي توحي له بقصر المسافة التي سيقطعها، كما اعتبرت الشوارع الرئيسية الأصل الذي تتفرع منه و تصب فيه جميع الشوارع الثانوية، فقد روعي التدرج في الشوارع حسب الأهمية و تدفق الحركة

وتعد الشوارع الرئيسية من العناصر الأساسية للقصر ووسيلة اتصال بين داخله وخارجه. فهي تقوم بربطه مع المناطق المجاورة له كالبساتين والمقبرة، ويتم عبرها أيضا الاتصال بالوحدات الرئيسية للقصر كالمداخل والرحبات والسوق ومركز القصر الذي يشغله الجامع العتيق تتقدمه ساحة فسيحة لامتصاص كثافة المصلين. لاحظنا ظاهرة في الشوارع الرئيسية لعين ماضي وهي عدم وجود زوايا قائمة في حواف جدران هذه الشوارع، وحسب الروايات الشفوية فإن هذه التقنية تستعمل من أجل تسهيل مرور الدواب المصحوبة بعربات بدون اصطدامها بحواف الجدران (الصورة رقم: 02) (الشكل رقم: 01) .

[1] – عثمان عبد الستار، المرجع السابق، ص179.

4-2 الأزقة:

تعتبر الأزقة في القصر مكانا أقل عمومية من الشوارع الرئيسية فهي تعتبر مكانا خاصا لأفراد العائلات القاطنين بها حيث تفتح بها أبواب المساكن، وهي تنقسم إلى نوعين من حيث التخطيط إلى أزقة غير نافذة و أزقة نافذة، وهذه الأخيرة تنقسم إلى أزقة مسقفة و التي يبلغ عددها أربعة و يبلغ متوسط عرضها1.50م، و أزقة غير مسقفة و التي يبلغ متوسط عرضها 2.3م. للأزقة دور في ربط الشوارع الرئيسية ببعضها، و تكون في بعض الأحيان مسقفة بواسطة خشب العرعار و القصب و ذلك حتى تمكن البيوت المفتوحة من استغلال الظل و كذا المارة بها، وهنا لاحظنا ظاهرة استعمال نوعين من التسقيف بزقاق واحد، بحيث يستعملون القصب و خشب العرعار في الأماكن العالية من السقف، أما الأماكن المنخفضة فيستعملون بها الحجارة المسطحة و خشب العرعار استعملها سكان القصر من أجل تجنب اشتعال القصب في الأماكن المنخفضة لسقف من الشعلة التي تستعمل ليلا من أجل الإنارة في الأزقة المسقوفة .

4-4 الرحبات:

هي عبارة عن فضاءات تكون امتدادا للشوارع أو تتوسطها، و لكن عرضها يختلف عن عرض الشوارع بحيث يكون أكثر اتساعا ما بين 5م و 6م. يحتوي القصر على ثلاث رحبات:

- الرحبة الأولى:

تعتبر رحبة رئيسية لوجودها بالمدخل الرئيسي (الباب الكبير) وتتميز باتساعها، بحيث كانت تستعمل قديما كسوق أين يأتي الناس من خارج القصر فوق دوابهم وبحيرهم من أجل عمليتي البيع والشراء. ولكن هذه الرحبة خضعت لعدة تغييرات أنقصت من مساحتها بعد أن أنشئ بها عدة مستودعات تستعمل لتخزين المواد الغذائية خاصة الحبوب.

-الرحبة الثانية:

متواجدة بجانب الجامع العتيق وتعتبر امتدادا للحاف الوسطاني، تستعمل هذه الرحبة كمكان لتجمع المصلين خاصة أيام الجمعة، أيام العيد وأيام رمضان بحيث تعتبر مكان ذو خاصية اجتماعية

الرحبة الثالثة:

توجد وسط الشارع التجاري أين توجد عدة محلات تجارية ومرافق أخرى كما نجد زريبة يستعملها الناس لوضع دوابهم بها أثناء قيامهم بمهامهم داخل القصر.

4-5 الأحياء و الدور

يتكون القصر من الداخل من مجموعات سكنية موزعة على كل مساحات القصر، و بنيت أحياء القصر بطريقة متماسكة متراصة فيما بينها توحي للناظر من بعيد و كأنها كتلة واحدة، و لقد روعي في بناء سكناتها ما يتطلبه الدين الإسلامي الحنيف، من المحافظة، الإلتزام، الحشمة و عدم الإلحاق الضرر بالجار و رغم تكتل بيوتها وتراصها ، إلا أنه قلما تزيد عن طابق واحد الشكل رقم: 02

5- المرافق العامة:

تنتشر معظم المرافق العامة في القصر على طول الشارع التجاري، بحيث تستغل فضاءات الطابق السفلي من المنازل والتي تطل على الشارع كمرافق عامة يستعملها أصحاب المنزل أو تؤجر لأشخاص آخرين. ونذكر من هذه المرافق، المحلات التجارية (بيع المواد الغذائية، الملابس التقليدية....) زريبة للدواب المستعملة في جر العربات و مراحيض عامة.

احتوى قصر عين ماضي أيضا على مطحنة للحبوب تابعة للزاوية التيجانية قديما كانت كل زاويا تملك مطحنة قمح خاصة بها، كما احتوى القصر على معصرة للزيتون والتي تقع خارج أسوار القصر، بحيث مازلت تعصر الزيتون إلى وقتنا الحالي مستعملة الطرق التقليدية في القصر (الصورة رقم:03)

6 -**نظام الري للبساتين:**

نظرا لأهمية السقي في هذا القصر وخصوصيته المميزة إرتأينا أن نتطرق لهذا النظام باختصار. يتم سقي البساتين المحيطة بقصر عين ماضي بواسطة عين تبعد (عين سيدي معين) حوالي 2 كلم عن القصر، و هي عين استصلحت منذ نشأة القرية منذ قرون ، و بقيت إلى غاية اليوم ملكا للفلاحين. كل مجموعة من الفلاحين تملك ما يسمى بالدور، الدور يتكون من 24 ساعة (12 ليلا / 12نهارا) وهذه الحسابات مبنية على قاعدة حسابية بين الزمن والمساحة والمسافة. كل فلاح يملك حصة من هذا الدور، الحصة محددة بالساعة والدقيقة، كل حسب مساحته، والحصة هذه ملك للبستان (الصورة رقم:04)

1-مواد وتقنيات البناء:

1-1 مواد البناء:

بنى سكان عين ماضي قصرهم بالمواد التي كانت تتوفر لهم من خلال محيطهم و ذلك لصعوبة احضار مواد أخرى من مناطق بعيدة، و تتمثل المواد التي استعملت في تشييد مباني القصر حسب درجة استعمالها فيما يلي:

1-1-1 الحجارة

تعددت استعمالات الحجارة بصفة عامة وفي قصر عين ماضي بصفة خاصة، تنقسم الحجارة إلى عدة أنواع منها الصلبة، الهشة، الجامدة...إلخ. أما بالنسبة للحجارة المستعملة في القصر فهي الحجارة الصلبة والحجارة الهشة.

. أ-الحجارة الصلبة

هي عبارة عن حجر رسوبي مشكل من حبيبات رملية متماسكة فيما بينها بواسطة ملاط سيليسي أو كلسي، ويطلق عليها محليا في المنطقة اسم التافزا، وتميل هذه الحجارة إلى اللون الأحمر المصفر، نظرا لاحتوائها على أكسيد الحديد[1]. أما بالنسبة لاستعمالاتها وبصورة واضحة في معظم منشآت القصر الجدران، السلالم والتسقيف في بعض الأحيان وبطرق بناء مختلفة.

[1] خالد قلواز، دراسة مسكن الأغا بقصر تويلة (الأغواط)، محاولة تثمين المعلم الأثري، رسالة لنيل شهادة الماجيستير، إشراف الدكتور محمد مصطفى فيلاح، 2006، ص 50.

ب-الحجارة الهشة:

انطلاقا من الكلس والذي ينتمي إلى الصخور الرسوبية، التي تتشكل عموما تحت تأثير المياه، ضعيفة القساوة مقارنة بالصخور الأخرى، تحتوي على حوالي 50% من كربونات الكالسيوم عموما. أما بالنسبة لاستعمالاتها فقد كانت تستعمل في استخراج- مواد جديدة كالجير وملاط بعد عملية حرقها أو حتى مواد لاصقة لتبلط الأرضيات وهو ما يعرف بالتمشيمت، أو استعمالها في شكلها الطبيعي المركب، نجدها عموما في البناء ونجدها بكثرة في تبليط الأرضيات، تلبيس الواجهات، الزخرفة.

2 -الطين:

الطين هو عبارة عن صخر متماسك يتألف من الصلصال ومشتقاته وبنسبة كبيرة من الماء. وقد يحتوي على أنواع مختلفة من المعادن[1]، وهي التي تضفي على الطين لونا معينا مثل اللون الأسود أو الأبيض أو الأصفر أو الأحمر. وتمتاز هذه المادة في كونها عازلة و يسهل تشكيلها، لأنها تمتص نسبة عالية من المياه تقدر ما بين 60% إلى 70% من وزنها. وهي على نوعين فمنها الدسمة ومنها الضعيفة ، وينتج كليهما من جراء عوامل كيمياوية كالأكسدة ، أو بفعل عوامل ميكانيكية ، كالفوارق الحرارية والرطوبة وعمليات الحت[2]

أ. عمليات تشكيله:

1-تخلط الطين الخام مع الماء والرمل فقط إذا كانت من النوع الضعيف، في حين يضاف لها التبن أو سعف الجريد للتقليل من دسمها وزيادة تماسكها

[1] - خالد قلواز، المرجع السابق، ص52.
[2] يوسف، التوني معجم المصطلحات الجغرافية، دار الفكر العربي 1977 ، ص.336 .

2 –الدلك الجيد للخليط بالأرجل حتى يصبح عجينة طرية و متماسكة.

3 –بعد الحصول على عجينة الطين يمكننا استعمالها على الشكل الآتي:

الملاط الطيني: والمعد لربط أجزاء الجدران أو السقف، فعند الحصول على العجينة تترك لمدة معينة من الزمن حتى يزول ما علق بها من الشوائب المعيقة لعملية الالتحام. بينما يحضر الملاط المخصص لتلبيس الجدران يمزج الماء والطين أولا حتى نحصل على سائل طيني صاف، عند ذلك يضاف له الرمل الصافي، ويخلط الكل دفعة واحدة حتى يصبح ملاطا لزجا.

الطوب: تصب العجينة المحضرة بكميات صغيرة في قوالب خشبية مستطيلة الشكل بدون قاعدة، بعد الانتهاء من هذه العملية يترك الطوب المشكل في الشمس لبضعة أيام حتى يجف ويكسب الصلابة و المتانة المطلوبة عندها يصبح صالحة للاستعمال في البناء. ويفضل أن تتم هذه العملية خلال الأيام غير الممطرة من أيام فصل الربيع أو الخريف حيث تكون درجة حرارة أشعة الشمس أقل بكثير مما هي عليه في فصل الصيف، حتى لا تؤدي إلى تشققه.

ويعتبر الطوب المجفف تحت الشمس من المواد غير الموصلة. فهو يحتفظ بالحرارة طوال النهار وينشرها ليلا، وذلك لضعف مقاومته الطبيعية والمقدرة ب 0 ، 22 حريرة الكل دقيقة وبالسنتيميتر مربع. ولذلك فإن الجدران المشيدة من الطوب تكون في أغلب الأحيان سميكة جدا للتقليل من انتشار الحرارة ليلا. ومع أن الطوب يعتبر من المواد غير المقاومة للعوامل الطبيعية إلا أن بإمكانه أن يدوم لفترة طويلة والسبب يكمن في قلة نسبة الرطوبة بالمناطق الصحراوية[1].

[1] - علي حملاوي ، المرجع السابق، ص.127

1-1-3 الخشب:

يعد الخشب من المواد الأساسية المكملة للبناء المعماري، وقد استعملت أنواعا عدة في قصر عين ماضي بشكل ملحوض خاصة خشب العرعار، الصفصاف، القصب والحلفاء و ذلك لوجوده بكثرة بالمنطقة.

أ-خشب العرعار والصفصاف:

يعتبر كليهما من الأشجار الجبلية ذات الجذوع القوية ، غير أنهما يختلفان عن بعضهما البعض في درجة التحمل ومقاومة الثقل . ويتميز خشب العرعار بالضخامة مقارنة بشجر الصفصاف ، ولذلك اقتصر استعماله في الأماكن التي تحتاج إلى سند أو المعرضة لضغط قوي ، مثل سواكف الأبواب والنوافذ وغيرهما. وكان يجلب من القعدة ووادي مزي . في حين استعمل شجر الصفصاف بمثابة العوارض المساعدة في عمليات التسقيف أو في عمليات الربط بين جدارين.

-ب- القصب:

و يستعمل خاصة في التسقيف فبعد مد الأعمدة و الروافد الخشبية يتم تغطية السقف بالقصب، و يتم استعماله بعد تنقيته من أوراقه.

-ج- الحلفاء و الرتم:

تعد هذه النباتات من الأنواع المحلية الوفيرة بالمنطقة التي لا تتطلب جهدا كبيرا في الحصول عليها، ولذلك لم يستغن عنها المعماري في تشييد مبانيه . ويكمن مجال استعمال هذه المواد في تقوية سقف المنشآت. وتتم هذه العملية بأن تفرش الحلفاء والرتم فوق السدة أو القصب لسد الثغرات المحتملة، وذلك لتفادي تسرب الملاط الطيني

المضاف فوقها أثناء عملية التسقيف، وحتى لا تترك أية فجوة قد تكون سببا في تسرب مياه الأمطار فيما بعد.[1]

4 -1 -1 الحديد:

استعمل الحديد في مجال محدود، حيث اقتصر استعماله في أماكن معينة دون غيرها. كاستعماله في صناعة قضبان تسييج النوافذ، وللدرابزين. وتلاحظ هذه الأخيرة في الدرابزين المطلة على صحن زاوية سيدي بن عمر، وهي كما يبدو صناعة حديثة العهد أدخلت من جراء الترميمات التي حدثت بالزاوية خلال الفترة الاستعمارية.

2 -1 تقنيات البناء:

1 -2 -1 الأساسات:

تنعدم الأساسات بمباني قصر عين ماضي، وذلك لأنها بنيت في أماكن صخرية، وعوض حفر الأسس فقد عمد البناء إلى وسيلة أخرى تتمثل في حفر حفرة حيث يبدأ الجدار أسفل مستوى الأرضية، وتسميك الجدار من الأسفل ثم يأخذ هذا السمك في النقصان تدريجيا باتجاه الأعلى. بحيث تسمح الطريقة بنقل الحمولة أو الثقل إلى الأرض مباشرة.

1-2-2 الجدران

تعتبر كل جدران قصر عين ماضي جدرانا حاملة يتراوح سمكها ما بين 40سم الى 80سم ويتناقص هذا السمك كلما ارتفعت الجدران ويلعب السمك الكبير دور العازل الحراري الذي يحافظ على الجو المعتدل داخل المنزل بحيث يحد من دخول الحرارة في فصل الصيف ويحافظ عليها شتاءا الشكل رقم 03

[1] - حملاوي علي، المرجع السابق، ص.128

تقنيات البناء المستعملة في تشييد الجدران:

كان البناؤون في قصر عين ماضي يبدؤون ببناء الجدران الخارجية للمبنى من أجل تحديد المساحة المراد بناؤها ثم تبنى الجدران الداخلية. أما بالنسبة لمواد البناء المستعملة فتكون في الغالب من الحجارة، و أحيانا الطوب، و في أحيان أخرى يتم المزج بين الحجارة و الطوب في جدار واحد، بحيث يستعمل الطوب في الجهة العلوية لخفة وزنه مقارنة مع الحجارة. و كان الطين يستعمل كملاط للحم المواد فيما بينها.، و فيما يخص تقنيات البناء المستعملة في تشييد الجدران فهي كالآتي:

أ-طريقة السنبلة

وهي وضع حجارة في شكل سنبلة. وذلك بوضع الكتل متلاصقة بأحد أركانها بحيث تشكل في الأخير زاوية ذات 45° وأحيانا ذات زوايا قائمة بين تلاقي حجارتين. وقد لوحظ الاستعمال الواسع لهذه الطريقة بحيث نجدها في عدة أماكن وفي معظم جدران قصر عين ماضي، حتى أننا نجد بعض الجدران مبنية كلية بهذه الطريقة، وتعرف هذه الطريقة باسم "الحجارة المظفورة" أو "الظفيرة". وفي قصر عين ماضي فلسفة الاستعمال هذه الطريقة، بحيث استعملها سكان القصر في جهة من جدران واجهات منازلهم، في معظم الأحيان فوق الباب (الصورة رقم: 05).

-ب-طريقة المزج

وهي الطريقة التي يستعمل فيها مواد مختلفة وغير منتظمة الشكل أو المقاسات. ولذلك كان على المعماري اختيار الحجارة التي تتناسب والمكان المخصص لها، ثم يملأ الفراغ الناتج بينهم بالمادة اللاحمة المعدة لهذا الغرض (الصورة رقم:06).

معظم جدران القصر كانت تظهر بمظهر مادة بناءها، ولكن في بعض الأماكن نجد جدران ملبسة بحيث كانوا يستعملون خليطا يتكون من الجير والرمل من أجل تلبيسها.

وفيما يخص بناء الأقواس فيوجد نوعان منها في مباني قصر عين ماضي: والأول هو عبارة عن أقواس صغيرة كانت تبنى قديما قبل البدء باستعمال القوالب الجاهزة، كالأقواس التي كانت موجودة بالجامع العتيق قبل إعادة بنائها. تبنى هذه الأقواس على النحو التالي:

– يتم استعمال أغصان شجر الرمان لتحديد شكل القوس، وذلك لأن خشب الرمان مرن وسهل التشكيل.

. بناء باقي الجدار فوق الأقواس المصنوعة من خشب الرمان.

–. تغطية القوس و الجدار بواسطة الطين.

–أما النوع الثاني من الأقواس فهو الذي تستعمل فيه القوالب لتشكيل

القوس، بحيث يثبت القالب الخشبي بالمكان المراد بناء القوس به ثم يبنى الجدار فوقه ، و بعد أن يجف الملاط الرابط بين مواد الجدار (حجارة أو طوب) ينزع القالب ثم يتم تلبيس القوس و الجدار

3 –2 – 1 الفتحات:

تنقسم الفتحات في القصر إلى نوعين. النوع الأول عبارة عن الأبواب والنوافذ (أي أنها تحتوي على مصارع تفتح وتغلق)، أما النوع الثاني فهو عبارة عن فتحات في الجدران على شكل مداخل الغرض منها الإضاءة والتهوية يتم بناء هذه الفتحات بواسطة ساكف من الخشب أو من الحجارة بالنسبة الفتحات الصغيرة، أما بالنسبة للفتحات التي يعلوها عقد فيقوم هذا الأخير بدور الساكف (الصورة رقم:07).

4 -2 – 1 السلالم:

كانت السلالم التقليدية بقصر عين ماضي تبنى إما على عوارض خشبية سميكة (الصورة رقم :08) أو على جدار سميك من الحجارة (الصورة رقم :09)، عرضها يتراوح ما بين (50 و100سم) وعلوها ما بين (15 و 20سم)، غالبا ما تكون هذه السلالم مستقيمة ذات جهة واحدة. واستعملت الحجارة المسطحة من أجل بناء الدرجات الشكل رقم 08 و09

5 -2 -1التسقيف:

تمتاز القصور الصحراوية عامة و قصر عين ماضي خاصة باحتوائها على كتامة « étanchéité »، و ذلك لمنع التسرب الحراري و المائي من الخارج إلى الداخل كون الأسطح هي أكثر الأماكن تعرضا لأشعة الشمس و الأمطار. تحتوي هذه الأسقف من الأسفل إلى الأعلى على ما يأتي:

– العوارض الخشبية والتي تعمل على نقل حمولة السقف إلى الجدران. وكان سكان عين ماضي يستعملون الجذوع الكبيرة لأشجار العرعار و الصفصاف أو زوجين من الجذوع المتوسطة، لا يتعدى طول هذه الجذوع 2.5م و لذلك جاءت غرف مباني قصر عين ماضي ضيقة و غير واسعة.

– الروافد الخشبية وتكون أقل سمكا من العوارض، ويتمثل دورها في نقل حمولة السقف إلى العوارض بحيث توضع متقاربة من بعضها بمسافة تتراوح ما بين 20 سم و40 سم.

– تغطي الروافد طبقة من القصب وفي بعض الأحيان طبقة من الحجارة المسطحة،.

– طبقة من الحلفاء أو الرتم وتفرش هذه الطبقة فوق القصب من أجل سد الثغرات المحتملة، لتفادي تسرب الملاط الطيني المضاف فوقها أثناء التسقيف.

– طبقة من الطين للحم كل المواد المستعملة فيما بينها بحيث تصبح متماسكة.

-لهذه الطبقة احتمالان هما:

و إذا كان هناك طابق علوي فإن هذه الطبقة هي عبارة عن تلبيس للأرضية إما باستعمال القرميد أو تلبيسها بطبقة من "TUF" (استبدلت هذه المادة فيما بعد بمادة التيمشمت (أنظر مواد البناء (الشكل رقم:4 و5).

-وإذا كانت تعلو السطح فيتم استعمال الكتامة أو المساكة وهي عبارة عن طبقة مكونة من مزيج من الرمل والجير.

- كما يتم حماية السقف من مياه الأمطار بواسطة ميازيب تنظم مسيلها، وتصنع هذه الميازيب من الخشب على شكل نصف أسطواني، وتكون خارجة شاقوليه على الجدار بحوالي 50 سم.

- لحماية الجدار من مياه الأمطار المتساقطة يستعمل صف من الحجارة في أعلاه، وهو ما يعرف في قصر عين ماضي ب "المقدول".

- تغطى الأسقف في بعض الأحيان بالقماش من الأسفل و ذلك لتفادي دخول الغبار إلى السقف.

لقد استعمل سكان قصر عين ماضي مواد بناء طبيعية وبسيطة، حاله حال معظم القصور الصحراوية بحيث تؤكد هذه المواد تكيف سكان هاته المناطق مع طبيعة المناخ، و تعتبر كل مواد البناء محلية فالحجارة و الخشب يؤتي بهما من المحيط الطبيعي للمنطقة أما الطوب و الملاط فيصنعان محليا من الطين. واستطاعت هذه المواد مقاومة الطبيعة القاسية على مر القرون، بحيث طور سكان هذه القصور مهارات اعداد وانتاج مواد البناء، وكذا تقنيات انجازها واستعمالها، وتعتبر مفاهيم البناء المستعملة آنذاك سارية المفعول إلى غاية وقتنا الحالي.

الفصل الثالث

الفصل الثالث: العمارة في قصر عين ماضي

1 –العمارة الدينية

2 –العمارة العسكرية

3 –العمارة المدنية

1 –العمارة الدينية:

العمارة الدينية في القصور الصحراوية تمثل العمود الفقري والانطلاقة لكل تجمع سكاني وتتمثل العمارة الدينية في قصر عين ماضي، أولا المسجد الجامع أو ما يعرف محليا بالجامع العتيق، فهو يمثل مركز الثقل و النواة الأساسية في تخطيط القصر. فمن حوله تتبلور التجمعات السكنية وتنتهي إليه شوارعها وأزقتها. ثانيا الزاوية التيجانية والتي لها دور ديني، سياسي وعلمي في ذات الوقت، وتعد منشاتها المصنفة كمعلم تراثي إرثا معماريا فريدا من نوعه. فقد أبدع البناؤون والفنانون في زخرفة هذه المباني بطريقة ملفتة للانتباه

1–2 الجامع العتيق:

حيث يعتبر المسجد العتيق من أقدم المباني في قصر عين ماضي حيث كان بمثابة اللبنة الأولى في القصر و محور توجه للعمران و توجيه للعمارة من حيث الموقع و مواد البناء المستخدمة فيه و حتى النمط المعماري و كان قديما كان يتوسط القصر، ولكن بعد الإضافات (الزاوية التيجانية) أصبح يقع في الجهة الشمالية للقصر وعلى مقربة من الباب الشرقي. طرأ على الجامع العتيق بعين ماضي عدة تغييرات واصلاحات، ولكن حسب الروايات الشفوية فإن الجامع مازال يحتفظ بنمطه وتخطيطه الأصلي، بالرغم من الترميمات والإصلاحات التي أجريت عليه. بني الجامع فوق ربوة يحده من الشمال والجنوب شارعان رئيسيان وهما الحاف الظهراوي و الوسطاني، ومن الجهة الشرقية يحده ممر مغطى بسقف محمول بواسطة عقود مدببة، أما من الناحية الغربية فتصل به الوحدات السكنية أما بالنسبة لتاريخ انشائه فمازال مجهولا، وعلى حسب الروايات الشفوية فإن عمر القصر يقدر بحوالي تسعة قرون، مع العلم أن المسجد كان من أول المباني في القصر، حاله حال معظم الجوامع العتيقة بالمنطقة خاصة وبالمدن الإسلامية عامة،

و بذلك نستطيع القول أن عمر الجامع العتيق من عمر القصر أي بني في القرن الخامس هجري / الحادي عشر ميلادي

2-1-1 الشكل الخارجي للجامع:

يعتبر الشكل الخارجي للجامع العتيق بالقصر بالبساطة والصغر في الحجم كان وظيفيا قدر الحاجة للسكان القاطنين في الأول يلبي حاجاتهم وقد حدثت به تغيرات من الداخل واتخذ الجامع شكلا مستطيل عمقه أكثر من عرضه، يتكون من بيت للصلاة بدون صحن وميضأة في الجهة المقابلة للحاف الوسطاني، تقدر مساحته حوالي 120م بحيث تعتبر صغيرة بالنسبة للجوامع الأخرى بالمنطقة. وله ثلاث واجهات، الأولى تعطي على الحاف الوسطاني والثانية على الحاف الظهراوي أما الواجهة الثالثة فتطل على ممر مغطى بسقف محمول بواسطة عقود مدببة (الصورة رقم:10).

و يحتوي الجامع على مدخل واحد رئيسي يفضي مباشرة إلى بيت الصلاة يعلوه عقد مدبب، تبلغ مقاساته 1.30*2.85م (بما فيها الإطار والقوس الذي يعلوه). بالإضافة إلى مدخل آخر ثانوي يصعد من خلاله إلى السطح ، ويشتمل الجامع العتيق على خمس نوافذ مستطيلة الشكل فتحت ثلاثة منها بجدار القبلة تعلو المحراب والمنبر. أما البقية الأخرى فتتوزع بالجدار الشرقي، وتقدر مقاساتها ب 1,50م * 1.35 م ارتفاعا و95 * 95 سم عرضا. ويلاحظ أن هاذين الأخيرتين فتحتا حديثا لكونهما يطلان على الممر الذي كان مسقوفا. كما تحتوي بيت الصلاة على ثلاث مشكوات بالجدار الغربي وتتراوح مقاساتها ما بين 40 سم و60 سم و للجامع مئذنة و هي حديثة فكان حاله قديما حال الجوامع الأخرى يخلو من المئذنة، بحيث يصعد المؤذن إلى السطح لينادي للصلاة (الصورة رقم.11).

2-2 الفضاءات الداخلية للجامع العتيق:

و يتم الدخول إلى بيت الصلاة عبر رواق مغطى بقبو مهدب الشكل مقاساته 6.35 * 2.10 م. ويفصل بين الرواق وقاعة الصلاة جدار ترك مفتوحا ، مما يبدو وكأنه مدخل منكسر. أما بيت صلاة فهي مستطيلة الشكل، عمقها أكبر من عرضها تقدر مقساتها ب (6.30 / 6.35 -15,75/14,70). وهي إذ ذاك تشبه في تخطيطها عدد كبير من الجوامع المعروفة والعائدة إلى مراحل زمنية مختلفة، مثل جامع القيروان وجامع قرطبة وجامع قلعة بني حماد (5هـ/11م) وجامع المنصورة (8هـ/14م) وسيدي إبراهيم بتلمسان (8هـ/14م) وجامع تليته ببني سنوس وأمثلة عديدة من الجوامع العثمانية مثل جامع علي باشا ومحمد الكبير ب وهران[1].

و أما بالنسبة للبلاطات والأساكيب فإن بيت الصلاة مكونة من ثلاث بلاطات عمودية على جدار القبلة، و ثمانية أساكيب موازية له. و يلاحظ أن بلاطات جامع عين ماضي تشمل بلاطة وسطى و تقدر مقاساتها ما بين 2.30، و 2.50، أما البلاطتين الثانيتين فمقاساتهما ما بين ، 1.80 م و 1.85م.

واحتوت بيت صلاة عين ماضي على 14 عمودا يبلغ ارتفاعها حوالي 1.90م و محيطها حوالي 1.25م (الصورة رقم:12 و الشكل رقم: 09)، تخلو هذه الأعمدة تماما من القواعد بل تقوم مباشرة على الأرضية، و تتوج بوسادات تفصل بينها و بين العقد. وتتكون هذه الأخيرة من طابقين يبلغ ضلع الأول 40 سم و سمكها 5 سم أما الثاني فتقدر مقاساته ب 50سم و سمكه 5سم. أما بالنسبة للعقود فنلاحظ الاستعمال المفرط

---

[1] علي حملاوي ، المرجع السابق ، ص. 75

للعقد نصف الدائري المتجاوز المنكسر وذلك راجع لكثرة الأعمدة، وفيما يخص المقاسات فإنها مختلفة من عقد لآخر.

– استخدم العقد بشكل مفرط يثير الإنتباه، و أغلبها في حالة جيدة و يرجع السبب في كثرتها إلى كثرة الأعمدة، و إلى الدور الذي تؤديه الأقواس في توزيع نقل العوارض الخشبية و حمولة السقف

وبالنسبة لمحراب جامع عين ماضي فهو يتكون من أربعة أعمدة دائرية الشكل، اثنان منهما يرتكز عليهما العقد المدبب للمحراب، و اثنان يشغلان نقطتي انحناء التجويفة و يعلوهما شريط بارز. أما فيما يخص مقاساته فتبلغ 40، 2م بالنسبة للإرتفاع و1.15 م بالنسبة للعرض.

والمنبر هو عبارة عن حنية كبيرة عمقها حوالي 1.12م، ارتفاعها 2.45م و عرضها 0.85 م. يعلوها عقد نصف دائري و ينتهي في أسفلها بثلاث درجات، و تتم عملية اضاءتها بواسطة نافذة فتحت أعلاها.

وسقف بيت صلاة الجامع بقباب متقاطعة، أما رواق المدخل فسقف بقبو مهدب الشكل، و قد استعمل في هذا التسقيف خشب العرعار و الصفصاف و جريد النخيل و القصب و الرتم.

2-2 الزاوية التيجانية:

اتخذت الزاوية التيجانية أربعة أماكن داخل قصر عين ماضي كالتالي:

الموقع الأول:

يعتبر أول مقر للزاوية التيجانية داخل القصر وهو ما يسمى بالدرب، تأسس هذا المقر في عهد محمد الكبير ابن أحمد التيجاني مؤسس الطريقة و الذي دامت خلافته ثماني سنوات (1827/ 1819)، و هو عبارة عن عدة منشآت اتخذها محمد الكبير كمقر للزاوية التيجانية و كمسكن له و لعائلته بعد عودته من المغرب.

الموقع الثاني:

بعد انتقال الخلافة من محمد الكبير إلى أخيه محمد الحبيب و الذي دامت خلافته ستة و عشرون سنة (1853/ 1827)، نقل هذا الأخير مقر الزاوية التيجانية إلى منزله المتواجد بجانب الموقع القديم للباب الكبير.

الموقع الثالث:

بعد وفاة محمد الحبيب انتقلت خلافة الزاوية التيجانية إلى إبنه أحمد عمار و الذي دامت خلافته ثماني و عشرون سنة (1896/ 1868)، بحيث أسس هذا الأخير مقرا جديد للزاوية التيجانية و الذي احتوى على عدة | منشأت هي : منزل أحمد عمار و الذي يعرف حاليا بزاوية "سيدي بن عمر"، مسجد الزاوية التيجانية، الضريح، المقعد، الباب الكبير، المحضرة. صنفت هذه الزاوية ضمن التراث الثقافي الوطني غير المنقول كتراث من العصر الحديث، بتاريخ 03/ 11 /1999 . تقع هذه المنشآت في الجهة الجنوبية لقصر عين ماضي، بالجهة اليمنى للمدخل الباب الكبير.

الموقع الرابع:

بعد انتقال الخلافة إلى بشير التيجاني أخو أحمد عمار و الذي دامت فترة خلافته أربعة عشر سنة (1910/ 1896)، نقل بشير التيجاني مقر الزاوية التيجانية إلى منزله المتواجد بجانب زاوية أخيه، بالتحديد مقابلة المسجد الزاوية.[1]

– 2 مسجد الزاوية التيجانية

يقع المسجد في الجزء الشمالي الشرقي للباب الكبير، وتبلغ مساحته الإجمالية بحوالي 200م. يتكون من بيت للصلاة غير منتظمة الشكل يتقدمها بهو وضريح الشيوخ

أ– الشكل الخارجي:

– يبلغ طول الجدار الخارجي لبيت الصلاة حوالي 20م ، و متوسط سمك جدرانها 70سم من الحجارة يفتح بيت الصلاة على الشارع الخارجي بواسطة نافذتين و بابين، بالإضافة إلى ثلاثة فتحات مستطيلة مفتوحة طوليا تستعمل الإضاءة بيت الصلاة.

– يتم الدخول إليها عبر مدخل تقدر فتحته ب 1.45م يعلوها عقد مدبب متجاوز، محصور داخل إطار خالي من الزخرفة، وينتهي في أعلاه بما يشبه الدرجات. ويكتنف المدخل من الجانبين عمودين مدمجين في الجدار، يمتازان بالاستطالة حيث يقدر ارتفاعهما بحوالي 3.10م، ينتهيان في أعلاهما بزخرفة هندسية (الصورة رقم: 13).

يغطي بيت الصلاة قبة ثمانية الأضلاع يتم تحويلها بواسطة قاعدة مربعة ومراكز انتقال مقرنصة، تكون نصف كرة مرئية من الشارع الذي يؤدي إلى المسجد

[1] علي حملاوي، المرجع السابق ، ص. 77

الفضاءات الداخلية:

– بيت الصلاة عبارة عن قاعة معمدة مستطيلة الشكل، تتكون من 14 عمود ذو قاعدة متعددة الأضلاع غير منتظمة (أو دائرية)، تتميز هذه الأعمدة بشكلها الضخم بحيث يقدر متوسط مساحة مقطعها حوالي 2.50م تتكون الأعمدة من بدن فقط و ترتكز عليها الأقواس مدببة مباشرة بدون تاج، و يبعد كل عمود عن الآخر بمسافة 2.5 م إلى 3 امتار. تغطي بيت الصلاة قبة و تقوم بتوزيع حمولتها إلى الأعمدة عبر قاعدتيها، الثمانية و الرباعية (الحنايا الركنية). تتميز من الداخل بتلبيس من الخزف بطريقة جميلة مما يضفي رونقا للفضاء الداخلي (الصورة رقم: 14)

الضريح:

وهو مكان شاسع مربع نوعا ما يضم مقابر أفراد من عائلة التجاني . ويتم الدخول إليه عبر مسجد الزاوية أو عبر مدخل فتح بالجدار الغربي، ويعتبر مكانا مقدس يزوره أتباع الطريقة التيجانية من جميع أنحاء العالم.

يتكون الفضاء الداخلي من أربع أعمدة ضخمة ذات أشكال ثمانية. وتقدر مساحة مقطعها ب 70 سم. تتكون من قاعدة مربعة يبلغ ارتفاعها15 سم، وبدن ينقسم إلى قسمين الجزء الأول له شكل ثماني يبلغ ارتفاعه 3 م والجزء الثاني له شكل مربع. يعلو الأعمدة تيجان ضخمة ومستطيلة، تقدر مقاساتها بحولي 91سم في الجزء السفلي و 1.5م بالنسبة للجزء العلوي . فتح بوسطها ما هو شبيه بدخلات غائرة مثلثة الشكل، بينما تنحني في أحد أطرافها.أما الجدران الجانبية فلها دور في نقل الحمولة إلى البنية التحتية فهي تعتبر جدران حاملة، بحيث يبلغ سمكها 1 م و ارتفاعها 6.60 م. بنيت هذه الجدران من الحجارة الصغيرة.

ترتبط الأعمدة ببعضها البعض بواسطة أقواس نصف دائرية ترتفع عن الأرض ب 3.80م فيها فتحات تمت تغطية الضريح بواسطة قبة حديثة العهد ، تزينها زخارف هندسية ونباتية اسفل القبة على قاعدة مربعة يتم تحويلها إلى المثمن بواسطة مقرنصات ، وتشغل الجزء الأوسط منه ، في حين غطيت الأجزاء الباقية بقباب متقاطعة. وغطي الكل بواسطة قرميد أخضر، ذو نمط أندلسي، وضع بطريقة مائلة لتفادي تسرب مياه الأمطار، ويعطي للمبنى شكلا هرميا*. ينتهي في أعلاه بجامور مكون من ثلاث كريات ذهبية اللون وهلال تتوجه نجمة.

– ويطل الضريح على الخارج بفتحات في جزئه العلوي وهي مصنوعة من الخشب ومشكلة بطريقة زخرفية رائعة. كما فتحت بجدرانه حنيات مستطيلة يعلوها عقود مختلفة الأشكال. القبة التي تغطي الضريح

3 –العمارة العسكرية:

لقد روعي الجانب الأمني في قصر عين ماضي جيدا وذلك لما تعرض له من حملات عسكرية متواصلة مما دفع حكامها إلى الزيادة من شدة تحصيناتها. تمثلت العمارة العسكرية بقصر عين ماضي في الأسوار التي تحيط بالقصر والحدائق، أبراج المراقبة و التي امتازت بكثرتها في الأسوار و الأبواب أو المداخل التي كانت محصنة بشكل جيد.

3-1الأسوار:

كانت الأسوار من الأولويات التي روعيت في العمارة العسكرية بالقصر وذلك لتكوينها حاجزا حصينا بين سكان القصر والأعداء. فقد أحيطت المدينة بأسوار ضخمة وقوية، و يتميز القصر عن غيره من القصور المحيطة به باحتوائه على ثلاثة أسوار

1 -1 -3 الأسوار الخارجية للحدائق

وهي الأسوار التي تحيط بالحدائق وتبعد عن القصر بحوالي 300م، لها شكل دائري يبلغ ارتفاعها حوالي 4.50م و سمكها حوالي 70سم، يتخللها كثير من الابراج اثنان منها رئيسية بجانب الأبواب التي تدخلنا للحدائق و هي مبنية من الطوب المجفف في الشمس1. في زيارتنا للقصر لاحظنا أنه لم يتبقى من هذه الأسوار إلا القاعدة وعدد قليل من الأبراج

[1] Léon Roche opcit,p297,.

- **3 -الأسوار الداخلية للقصر**

وهي عبارة عن أسوار ضخمة وعالية تمتاز بالقوة والمتانة، يتراوح ارتفاعها ما بين 6م و 12م وسمكها حوالي 2.50م، تمتد هذه الأسوار على محيط القصر وتحتوي على اثني عشر برجا تقدم السور به. بنيت هذه الأسوار من الحجارة المصقولة. مع العلم أن في وقتنا الحالي لم يتبقى من هذه الأسوار إلا أجزاء قليلة، فمنها ما هدم و منها ما استعمل داخل المنازل و ذلك بإنقاص سمك السور (الذي يبلغ سمكه 2.5م) وربح المساحة داخل الغرفة أو بفتح باب آخر للمنزل يطل خارج القصر (الصورة رقم:15-16)

. كما احتوى سور عين ماضي على ممشى يبلغ ارتفاعه ما بين 1.40م و 1.80م، و عرضه 80 سم فتحت به مزاغل مزينة من الأعلى بشرفات هرمية الشكل على طول أسوار القصر لها نظرة مطلة على الخارج ويمكن الممشى من تسهيل عملية الاتصال بين الجند والقادة (الصورة رقم:17). تختلف الجهة الداخلية لأسوار القصر من جهة إلى أخرى، ففي بعض الأماكن نجدها متلاصقة مع المنازل، و في أماكن أخرى تكون مفصولة تاركة ممرا بينها و بين جدران المنازل.

2 – 3 الأبراج:

تعتبر الأبراج من الأبنية الدفاعية التدعيمية التي أقامها سكان القصر من أجل الدفاع عن أنفسهم، فقد دعموا أسوار القصر بعدد كبير من الأبراج * قدر من طرف الرحالة ليون روش سبعة و ثلاثين برجا بالنسبة للأسوار الخارجية و اثني عشر بالنسبة للأسوار الداخلية للقصر، و هي تتنتشر على طول الأسوار بطريقة تمكن السكان من مراقبة كل الأماكن المحاذية للقصر. ولكن في وقتنا الحالي لم يتبقى إلا أربعة أبراج، أما الباقي فقد اندثر.

لها شكل رباعي، و ذات قاعدة مستعرضة ثم تضيق تدريجيا كلما اتجهت نحو الأعلى. و يفوق علوها على السور بثلاثة أمتار، باستثناء البرجين اللذين كانا يدعمان الباب الكبير بحيث بلغ ارتفاعهما 20م و تتقدم السور به 4م[1]. زودت هذه الأبراج كلها بمزاغل و فتحات تمكن من ضرب العدو (الصورة رقم: 18-19).

3-3 المداخل

3 - 2 - 1 الباب الكبير:

يقع في الناحية الجنوبية للقصر، ويعد إحدى المداخل الرئيسية له. وقد كان محل اهتمام الرحالة الأجانب منذ مطلع القرن 19م، فوصفوه وأطنبوا في وصفه نظرا لضخامته غير المعتادة بهذه المناطق. تقدر مساحة الباب الكبير بحوالي 730م2، ويتكون من طابقين، طابق أرضي وطابق علوي. يحتوي الطابق الأول على غرفتين للحراسة ومسكن وملحقاته، أما الثاني فهو مزود بمجموعة من الغرف مخصصة لاستقبال وإيواء الوافدين من الزوار. وتعرض الباب الكبير إلى تغييرات وإضافات خلال الفترة الاستعمارية، تمثلت على وجه الخصوص في الغرف التي تعلوه وكذا جدار سوره الخارجي

موقع الباب الكبير في الناحية الجنوبية للقصر، و لكنه ليس مكانه الأصلي ، فقد كان قديما، قبل حملة الأمير عبد القادر، يقع بجانب منزل محمد الحبيب التيجاني ابن مؤسس الطريقة التيجانية ، ثم تغير موقعه بسبب توسيع القصر من الجهة الغربية سنة 1840م-1844م ، و هذه التغييرات تسببت نوعا ما في فقدان القصر لشكله الدائري[2] (الصورة رقم:20).

1, Léon Roche opcit,p268

2. Ibid. p297

تبلغ مقاسات الباب الكبير حوالي 3.40م بالنسبة للارتفاع و 2.60م بالنسبة للعرض، أما بالنسبة للباب فهو ذو مصرعين مصنوع من مجموعة من الألواح الخشبية السميكة، مشكلة بطريقة تسمح بتداخلها مع بعضها البعض مثبتة بمسامير، غطي الباب في النهاية بصفائح من الحديد الأبيض، كان الغرض منها في ذلك الوقت هو التصدي لضربات العدو. مازال هذا الباب موجودا إلى غاية وقتنا الحالي (الصورة رقم:21).

فتح الباب الكبير في السور مباشرة يكتنفه على الجانبين برجين شاهقين. يفضي الباب إلى ممر أو سقيفة تتراوح مقاساتها بحوالي8م في الطول و 2.60م في الاتساع ويتكون من طابقين، طابق أرضي وطابق علوي. يحتوي الطابق الأول على غرفتين للحراسة ومسكن وملحقاته، أما الثاني فهو مزود بمجموعة من الغرف مخصصة لاستقبال وإيواء الوافدين من الزوار.

3 – 3 – 2 باب الساقية:

يقع في الناحية الغربية للقصر، و سمي بهذا الإسم بسبب وجوده بجانب الساقية التي توصل الماء للبساتين. فتح هذا الباب بعد فتح الباب الكبير الأول و كان الغرض منه تسهيل وصول السكان إلى بساتينهم، و تبلغ مقاساته 2.60م بالنسبة للارتفاع و1.95م بالنسبة للعرض، فتح هذا الباب في برج المراقبة يعلوه عقد و يفضي مباشرة إلى سقيفة يبلغ طولها بحوالي 6.80م وعرضها1.90م (الصورة رقم:22). كما يشتمل باب الساقية على مقاعد حجرية تحول ليلا إلى أماكن للحراسة، أما في الوقت الحالي فتعتبر مجلسا لمشايخ القصر بحيث توفر مناخا معتدلا في الأيام الحارة بالصيف (الصورة رقم:23).

3 -3 -3 الباب الشرقي:

يقع في الناحية الشمالية الغربية للقصر، فتح الباب في سنوات الأربعينيات من القرن العشرين[1]، أي بعدما ساد السلام و الأمان و انتهت الحروب و لم يعد هناك داع للتحصينات الكثيرة، و بذلك فتح الباب الشرقي من أجل تسهيل الولوج للقصر و الخروج منه من كل النواحي، و تم فتحه بعد ازالت جانب من السور عند نهاية الحاف الظهراوي ويبلغ عرضه عرض الشارع (الصورة رقم:24).

3 - 3 – 4 الباب السري:

كان قصر عين ماضي مزودا بباب سري في الجهة الشمالية الشرقية بجانب الباب الشرقي وهو عبارة عن مدخل منكسر، كان الغرض منه هو مساعدة الحاكم على الهروب في حالة ما إذا ضاقت السبل به (الصورة رقم:25-26). والأبواب السرية عرفت بالمدن الإسلامية، وانتشرت في وقت كثرت فيه الفتن كالعصر المملوكي مثلا، حيث كثر استعمالها بشكل ملحوظ حتى شملت بيوت الأمراء التي كانت تنتشر في أحياء المدينة. وقد عرف هذا النوع من الأبواب تحت أسماء عديدة ومتنوعة مثل باب السر أو باب النجاة أو باب الغدر أو باب الخيانة.[2]

---

[1] علي حملاوي، المرجع السابق، ص. 87

[2] محمد عبد الستار (عثمان) ، المرجع السابق ، ص.158.

4 –العمارة المدنية:

من المؤكد أن العامل الأول الذي يتحكم في تخطيط المنازل والأحياء في قصر عين ماضي هو المناخ و الطبيعة المحيطة به، حاله حال معظم القصور الصحراوية. أول ما لاحظناه في القصر هو البناء المتراص للمنازل، فبهذا التراص و التلاحم يضمن سكان القصر التقليل من أشعة الشمس التي تتعرض لها بيوتهم في فصل الصيف و كذا الرياح الباردة في فصل الشتاء. أما بالنسبة للأشكال التي اتخذتها البيوت فكانت إما مربعة أو مستطيلة و في بعض الأحيان تتخذ أشكالا متعددة الأضلاع و منعدمة الزوايا، تتميز معظم منازل القصر ببساطتها و خلوها من جميع مظاهر الرفاهية و الزخرفة، بحيث صممت لكي تلبي الحاجات اليومية للسكان دون البحث عن الترف.

لا يزيد ارتفاع البيوت عن طابق واحد بالنسبة لدور الطبقة العامة إلا في بعض الأحيان أين تكون مساحة المنزل صغيرة وتستلزم طابقا علويا من أجل تلبيت حاجات سكانها، و غالبا ما تكون هذه المنازل ورثا يقسم بين الورثة الشرعيين. أما المنازل الكبيرة ذات طابقين فكانت حكرا على الحكام والأثرياء.

4 – 1 الشكل الخارجي للمنازل:

4 –1 –1 الواجهات:

كحال معظم المساكن في القصور الصحراوية و لضرورة وظيفية فرضتها الطبيعة و كذا التعاليم الإسلامية فنجد معظم بيوت القصر لها واجهات بسيطة وصماء، باستثناء مدخل المنزل أو نوافذ في بعض الأحيان. تظهر الواجهات بمظهر مواد البناء المستعملة بها والتي تكون في معظم الأحيان "حجارة" (الصورة رقم:27) بحيث تختلف كيفية وضعها من جهة إلى أخرى بالواجهة*، و في بعض الأحياء يكون مظهرها مظهر

الطوب. (الصورة رقم:28) في بعض الواجهات استعمال المادتين معا (الحجارة والطوب) (الصورة رقم:29)، بحيث تكون الحجارة في الطابق الأرضي أما الطوب فيستعمل بالطابق العلوي و ذلك لكتلته الخفيفة مقارنة مع الحجارة كما نجد واجهات ملبسة تظهر بمظهر أملس (الصورة رقم: 30).

4 -1 – 2 مداخل المنازل:

تنوعت مداخل البيوت بقصر عين ماضي فنجد ان هناك نوعين من المداخل بمنازل قصر عين ماضي، الأول هو مدخل المنزل الذي يستعمله سكان البيت و يكون عبارة عن باب ذو مصرع واحد مصنوع من مجموعة من الألواح الخشبية مثبتة مع بعضها. يفضي المدخل في بعض الأحيان إلى الشارع مباشرة (الصورة رقم: 31)، و في أحيان أخرى يفضي إلى سقيفة تكون مخصصة لذلك المنزل أو لعدة منازل (الصورة رقم:32).

أما النوع الثاني فهو مدخل مخصص للضيوف، بحيث يوجد في بعض المنازل فقط و هو ما يعرف محليا ب"المصرية" و يكون مرتفع عن المستوى الأرضي للشارع بعدة درجات. استوحي هذا النمط من المداخل من أصول ديننا الحنيف بحيث يحافظ على حرمة و حشمة أهل المنزل و ذلك بإدخال الضيف مباشرة من الشارع إلى غرفة الزوار دون العبور داخل المنزل (الصورة رقم:33).

4 -1 -3 النوافذ:

نلاحظ ان هناك بعض النوافذ او مايسمى بالطاقات و ان كانت قليلة و اختص بها بعض المساكن فلقد كانت النوافذ قليلة في واجهات المنازل بالمجمل، وهي عبارة عن فتحات مستطيلة الشكل ومصنوعة من الخشب وبدون زخرفة. أما بالنسبة لمنازل الأثرياء

فكانت النوافذ تزين الواجهات باتساعها وأشكالها المختلفة، فأحيانا تكون مستطيلة و أحيانا يعلوها عقد و بالنسبة للتزيين فقد استعملت عدة مواد كالخشب أو الحديد كما زينت بعض النوافذ بالدرابزين الحجري (الصورة رقم:34).

4 -1 -4 العناصر الرمزية :

وهي نادرة لكون العمارة كانت وظيفية تلبي الحاجات الأساسية فقط للساكن الا ان هناك بعض الرموز و الزخرفة موجودة و لقد تميزت واجهات بعض البيوت بوجود عناصر رمزية كزخرفة النملة والصرصور التي تزين أعلى الباب أحد المنازل (الصورة رقم:35) واستعملت كرمز للمثابرة و الجد في الفترة الاستعمارية. وتعد هذه الزخرفة فريدة من نوعها ليس من حيث استعمال الأشكال الحيوانية ولكن من حيث الموضوع المتناول فيها وجديته. كما استعملت زخارف أخرى مستوحات من زخارف الزاوية التجانية كاستعمال الزخرفة الهندسية الموجودة بواجهة مسجد الزاوية على أحد واجهات المنازل (الصورة رقم36).

4 -2 الفضاءات الداخلية للمنزل:

4 -2 – 1 المدخل:

استعمل في مداخل بيوت عين ماضي النظام المنكسر أو ما يعرف باسم تنكيب، بحيث يتميز هذا النوع من المداخل بعدة مميزات منها ما له علاقة بتعاليم ديننا الإسلامي، ومنها ما له علاقة بالتصميم الهندسي في المناطق الصحراوية (الشكل رقم:06).

– من الناحية الدينية يضمن المدخل المنكسر لسكان المنزل عدم كشف أسرارهم والمحافظة على حرمة من بداخلها، كما تفتح هذه الأبواب في الأزقة والشوارع بطريقة

التنكيب مراعاة لحرمة من بداخلها. وهي ميزة استمدت أصولها من أحكام الشريعة الإسلامية الداعية إلى حرية الفرد بالمجتمع دون الإخلال بالنظام العام.

– أما من الناحية الهندسية فهذا المدخل يضمن الإنتقال التدريجي من مكان عام إلى مكان خاص، كما يسمح هذا النوع من المداخل بتركه مفتوحا طوال النهار و هو ما يوفر تبارا هوائيا يرطب أيام الصيف الحارة.

4 -2 – 2 السقيفة:

إن السقيفة من الفضاءات الأساسية في البيوت الصحراوية وذلك بسبب استعمالها اليومي، بحيث لها دوران مهمان وهما:

– الفصل بين الفضاء الداخلي و الخارجي للمنزل و هكذا تضمن حرمته

– تعتبر السقيفة من أكثر الأماكن المستعملة بالمنزل خاصة في فصل الصيف لما توفره من برودة و لذلك فهي مريحة للجلوس أو القيام بعض الأعمال المنزلية كالنسيج و الغزل أو حتى بعض الأشغال المطبخية.

4 – 2 – 3 الحوش (الصحن):

يعد الحوش من أهم الفضاءات بالبيت الإسلامي عامة والبيت الصحراوي خاصة، فهو من الأماكن الجامعة بالمنزل و له دوران مهمان: ، يعتبر الحوش في التصميم الهندسي للبيوت الصحراوية كمكان الخلق مناخ مصغر « microclimate »

يختزن به الهواء البارد أثناء ليالي الصيف و الهواء الدافئ في ليالي الشتاء. وقد أثبتت التجارب على أن درجة الحرارة بالصحن تنخفض بمقدار درجتين عن درجة الحرارة السائدة بالمنطقة[1].

– يساعد الحوش على تفادي فتح النوافذ على الشوارع وهو ما تحث عليه تعاليم ديننا الحنيف، بحيث يتم فتح النوافذ على الحوش من أجل الاستمداد بالنور والهواء. وهو ما يسمى بقلب الواجهات أي أن الوجهات الخارجية تكون صماء.

4 –2 –4الأروقة:

الأروقة نجدها محيطة بالحوش في كل منازل قصر عين ماضي إما من جهتين، ثلاث أو أربعة جهات، و تكون في بعض الأحيان مجرد أعمدة تطل على الحوش و هو الحال في بيوت البسطاء، أما بيوت الأثرياء فهي عبارة عن مجموعة من الأقواس. وتساعد هذه الأروقة على الحد من حدة أشعة الشمس وقوة الرياح التي تتعرض لها الغرف، وبالنسبة لاستعمالها فهي تستعمل كمكان للنسيج في الصيف. وزيادة على كل هذا فإن للأروقة دورا معماريا حيث تتخذ بمثابة الحمل الذي يقوم عليه ممر الطابق العلوي وسقفه أيضا[2].

---

[1] – عثمان محمد عبد الستار، المرجع السابق، ص.340.

[2]محمد الطيب عقاب، المدخل إلى المسكن العربي الإسلامي بمدينة الجزائر، المؤتمر العاشر للأثر في البلاد العربية، تلمسان –الجزائر من 15 إلى 18 نوفمبر 1982، ص8.

5 – 2 – 4 الغرف :

تتوزع الغرف في بيوت قصر عين ماضي حول الحوش شكلها عموما يكون مستطيلا، تمتاز بالضيق و ذلك راجع إلى الجذوع الخشبية المستعملة بالتسقيف و التي لا يزيد طولها عن 2.5م و لكننا نجد في بعض الأحيان غرفا أكثر اتساع بحيث يستعمل فيها صفين من التسقيف بتوسطهما جدار لكي ترتكز عليه الروافد الخشبية ، يفتح بهذا الجدار قوس كبير مما يساعد على نقل حمولة السقف إلى الأساسات، أو في بعض الأحيان يستبدلون الجدار بعدة عوارض خشبية أما بالنسبة للتخطيط الداخلي لهذه الغرف علاوة على شكلها المستطيل المعتاد فقد تأخذ أشكالا غير منتظمة بزوايا غير قائمة و ذلك راجع لعدم انتظام شكل البيت نفسه. تصنف الغرف في بيوت عين ماضي على حسب الغرض من استعمالها و هي تنقسم إلى

– الغرفة الأولى أو ما يسمى ب"الدار الشرقية أو القبلية ...." وذلك على حسب تموضعها في البيت، تستعمل هذه الغرفة لعدة أغراض كالنسيج خاصة في فصل الشتاء، كما يمكنها أن تكون غرفة تستعمل للمناسبات أو الالتقاء النساء.

– نجد في بعض المنازل غرفة مخصصة للزوار وتكون لها مدخل مباشر على الشارع وهو ما يسمى ب "المصرية " وذلك لتفادي دخول الغرباء إلى المنزل، وتكون عادة مخصصة للرجال.

– الغرفة الثانية أو ما يسمى ب "بيت العولة أو المخزن" وتستعمل من أجل تخزين المواد الغذائية، بحيث تحتوي على مكانين للتخزين الأول و هو عبارة عن أحواض مرتفعة عن مستوى الأرضية مقسومة فيما بينها بواسطة جدران و تستعمل لتخزين الحبوب الجافة كالقمح و الشعير.... الخ (الصورة رقم:37). والثاني ما يعرف ب"السدة " عبارة عن طابق يعلو الرف و يستعمل من أجل تخزين باقي المواد الغذائية كالخضر، الفواكه،

اللحم، الزيت .... الخ (الصورة رقم :38). في بعض المساكن تحتوي بيت العولة على مكان أخر يستعمل في فصل الصيف من أجل القيلولة و ذلك لبرودته أو كمطبخ في فصل الشتاء.

الغرفة الثالثة أو ما يسمى ب"الحانوت" و تكون عموما بالطابق العلوي و تستعمل كغرف للنوم.

4 – 2 – 6 المطبخ:

يمثل المطبخ في البيوت الصحراوية غرفة صغيرة المساحة في الطابق الأرضي بحيث تحتوي على مدخنة تشغل إما إحدى الجدران أو إحدى زوايا المطبخ

4 – 2 – 7 المراحيض:

غالبا ما يبنى سكان عين ماضي المراحيض بالقرب من المدخل و ذلك لكي تكون مطلة على الشارع بواسطة فتحة مغلقة يعلوها ساكف لكي يحمي الجدار من الإنهيار وقت نزع الحجارة عن هذه الفتحة من أجل تفريغ المراحيض ثم يعاد بناءها. تستعمل البقايا المستخرجة كأسمدة للأراضي الفلاحية

4 – 2 – 8 السطح:

نصل إليه عبر سلالم تكون بالحوش، وهو عبارة عن مكان شاسع تكون مساحته في بعض الأحيان هي مساحة الأماكن المسقوفة بالطابق الأرضي، و في بعض الأحيان يكون السطح يحتوي على غرفة أو غرفتين و نجد هذه الظاهرة في المنازل صغيرة المساحة

الدراسة تحليلية للنماذج من المساكن

جاءت مساكن قصر عين ماضي ذات تصميم متشابه في تخطيطها العام وغالبا ما كان مستطيلا أو مربعا وأحيانا شكلا غير منتظم، وامتازت أيضا بالبساطة، فهي تخلو من مظاهر التنمية والزخرفة، وظاهر الترف لذلك جاء النسيج العمراني متوافقا مع العادات التقاليد السائدة في المنطقة، وقد توزعت هذه المساكن فيما بينها بشكل يوحي للناظر وكأنها كتلة واحدة، ذلك لأن جدرانها متقاربة ومتصلة فيما بينها ، حيث تقع المنازل جنبا إلى جنب وتشترك في الجدران الجانبية وأحيانا الخلفية و كذا التشابه في النمط السائد في ما يخص التوزيع للفضاءات و ترتيبها على نفس النحو كما كان في اتباع نفس أساليب و تقنية البناء و استعمال نفس مواد البناء المحلية و خاصة الحجارة و الخشب الأثر في هاته المسكن من حيث اتساع الغرف و ارتفاع المساكن.

إن هذه البساطة والتشابه في التخطيط والبناء، يدعونا إلى التساؤل عما إذا كان هذا اختياريا أم أن هناك عوامل فرضت على البناء شروطها؟ وهل عدم مراعاة هذه الظروف يؤدي إلى نتيجة عكسية ؟.

للوصول إلى إجابة لابد من دراسة بعض النماذج المختلفة

1-النموذج الأول: (مخطط 5)

يقع هذا المنزل في نهاية الشارع الرئيسي قرب باب صفين، وهو منزل كبير تقدر مقاساته بحوالي 26 م طولا و 14م عرضا وسمك جدرانه حوالي 50سم و 60سم كحد اقصى و يختلف سمكه من جدار الى اخرحسب ان كان جدار مشترك او خارجي ام جدار داخلي ويتربع على مساحة قدرها حوالي 364م مربع وهو منزل لا يحتوي على

طوابق بل هو ذو مستوى أرضي لكبر مساحته و احتوائه على اغلب الفضاءات المعيشية فقط، مظهره الخارجي بسيط خال من الفتحات والبروزات وأهم ما يميز هذا المنزل هو احتواؤه على اغلب الفضاءات المعيشية المتطلبة في المساكن. يتم الدخول إليه عبر باب حديث من صفائح الخشب يؤدي إلى فناء واسع ألحق مؤخرا بالمنزل يفتح هذا الباب في درب مغلق، بعد الدخول إلى الفناء نجد الباب المؤدي إلى المنزل، ارتفاعه حوالي 2م وعرضه حوالي 1.2م ، يؤدي إلى سقيفة مقاسها 3 امتار طولا على 1.60 م عرضا وتقع على يمينه وعلى يساره غرفتان هذه الأخيرة للضيوف وهي واسعة وكبيرة ويقدر مقاسها حوالي ب:9م طولا و 2.6 م عرضا، السقيفة حيث نجد بابا آخر غير محوري للمدخل يحجب نوعا ما داخل الدار، يؤدي إلى رواق آخر طوله حوالي 3م على يمينه مقعد علوي يصعد إليه بسلم ذي ثلاث درجات، في الجهة الشرقية منه ثلاثة عقود ترتكز على أعمدة وهذه الأخيرة بدورها قائمة على جدار علوه حوالي 1م، أما مساحة المقعد حوالي 1.5م مربع وفي جداره الجنوبي فتح باب يؤدي إلى الشرفة بالنسبة لوظيفة المقعد فهو تقريبا يشبه الإيوان حيث تجلس فيه العائلة أيام الصيف للاستمتاع بالهواء البارد، خاصة وأنه مفتوح من جهة الفناء وبه باب الشرفة الذي يعمل عمل الملقف حيث يسمح بمرور الهواء المنعش في المساء .

للمنزل فناء فسيح يقدر طوله ب: 10م وعرضه 6.7م تتوزع حوله الغرف، في الجهة الغربية منه يتقدم الغرف رواق عرضه حوالي 2.6م تؤلفه بائكة من أربعة اعمدة، أما المسافة بين الأعمدة فهي ثابتة تقدر ب: 1.2م، والغرفتان اللتان يتقدمهما الرواق مقاس ما بين 4م و3.50 م طولا و 2.5 ، الى 3 م عرضا، بالنسبة للغرفتين اللتين يتقدمهما الرواق مقاس كل واحدة منهما 4م و3 طولا، و 2.8 م عرضا، أما الجدار الشمالي فتتوزع عليه ثلاثة غرف للنوم تتراوح مقاساتها ما بين 3م و 4.5م طولاو2.8م عرضا وكلها مزودة بمداخن للتدفئة ونوافذ مطلة على الفناء،

– المقعد هو وحدة معمارية تبني خصيصا في طرف أحد الأروقة في شكل سدة قبالة قدوم الهواء المنعش، خاصة قبيل الغروب، حيث الإنسان في هذه الفترة بحاجة للاستراحة بعد تعب النهار،.أما الجدار الشرقي فيه غرفة كبيرة منفردة ذات مقاس 5.8م طولا و 2.7م عرضا، وفي الركن الشمالي الشرقي باب يؤدي إلى حديقة المنزل

وفي الجدار الجنوبي يوجد الكنيف، ثم يليه المطبخ وهو غرفة كبيرة زودت بمدخنة ورفوف أضيفت حديثا، ويلي المطبخ المخزن وهو غرفة صغيرة بها باب من الجهة المقابلة يليه درج نازل يؤدي إلى فناء آخر طوله حوالي 13م وعرضه 3م في طرفه الغربي مخزن آخر توضع فيه بعض الأغراض الفلاحية وحبوب القمح والشعير.

بالنسبة للتسقيف فقد استعملت جذوع النخيل إلى جانب القصب والملاط الطيني وهي نفس المواد المستعملة في كل المنازل والمباني الصحراوية يعتبر هذا المنزل من بين أهم منازل القصر نظرا للمساحة التي يشغلها من جهة، وحالته المتوسطة من جهة أخرى، كما احتوى على اغلب الفضاءات المستعملة من قبل السكان في تلك الفترة كما يبرز لنا نمط السكن في حالة الطابق الأرضي في القصر.

– **النموذج الثاني:** مخطط رقم 06 الطابق الأرضي والمخطط رقم 07 الطابق العلوي

يعتب هذا المسكن من اقدم مساكن قصر عين ماضي حيث يحافظ على شكله الخارجي و اغلب تخطيطه الأصلي لقربه من المسجد العتيق حيث بدأت المساكن في الانتشار و هذا بالشارع المقابل بقرب الجامع العتيق، وهو يتربع على مساحة 160م كما يقدر سمك جدرانه بحوالي 50سم يتكون من طابقين أرضي وطابق أول، واجهته بسيطة بها بعض الفتحات للتهوية، بنيت جدران الطابق الأرضي بالحجارة وهي غير مغطاة بالملاط، بينما الطابق الأول بني بالطوب اللبن يتم الدخول إلى هذا المنزل عبر بابه الموجود بالجهة الشرقية (مخطط 5)، ويقدر ارتفاعه ب: 1.80م وعرضه 1م يؤدي إلى سقيفة منكسرة طولها حوالي 3.2م وعرضها1.7م يقابلنا عند الزاوية الجنوبية الشرقية

حوض ماء قديم منهار و على يمين المدخل توجد غرفة خصصت للضيوف وهي مربعة الشكل طول كل ضلع حوالي 3م بالخروج من السقيفة تجد نفسك تحت ظلة رواق طوله3.5م وعرضه 1.35م وهو يوجد بالجهة الشرقية من الفناء ويتقدم غرفتين إحداهما في الجدار الشرقي طولها 4.6م وعرضها 3م، والأخرى في الجدار الشمالي طولها 3.7م وعرضها 2.7م وكلاهما مخصص للنوم يحمل سقف الرواق دعامة في الوسط ارتفاعها حوالي2.7م وطول كل ضلع من أضلاعها الأربعة 60سم ودعامتان مماثلتان مدمجتان بالجدارين الشمالي والجنوبي في الجهة الشمالية نجد المخزن وهو عبارة عن غرفة صغيرة مربعة طول كل ضلع من أضلاعها حوالي 2م، ويليها الكنيف الذي يتم الصعود إليه عن طريق درج منكسر، وهو مرتفع عن مستوى أرضية الفناء بحوالي 70 سم ، تحته حوض لتجميع الفضلات. أما الجهة الغربية فتوجد بها غرفة كبيرة منفردة مقابلة للرواق، ومن خلال ما تحويه من مدخنة كبيرة عليها أثر الدخان وخزائن حائطية يمكن الجزم بأنها مطبخ كبير طوله 50، 6م وعرضه 2.7م وزود بنافذة تطل على حوش، وهذا الأخير يقدر طوله ب: 6.5م وعرضه 5م يوجد في جداره الجنوبي الشرقي درج يؤدي إلى الطابق الأول (مخطط 6)يصلك إلى رواق عرضه حوالي 1.5م يرتكز ثقله على دعامات الرواق الأرضي ، في الجهة اليمنى منه باب ارتفاعه 1.8م وعرضه 75سم يؤدي إلى غرفة طولها 4.5م وعرضها 2.7م بها مدخنة في الركن المقابل للباب وتتصل بها غرفة ثانية عبر باب ارتفاعه 1.80م وعرضه 85سم طول هذه الغرفة حوالي4.7 وعرضها 2.7م بها باب آخر يفتح إلى الرواق ويقابله في الجانب الآخر أي الشمالي باب يؤدي إلى غرفة طولها 6م وعرضها 2.7م توجد بجدارها الغربي مدخنة كبيرة وخزائن حائطية والاحتمال الكبير أنها مطبخ ثان، أما المساحة الباقية فتركت كما هي ومن الأرجح أنها شرفة مطلة على الشارع إلا أن صاحب المنزل أكمل بناءها وجعلها جدارا مرتفعا، أما الجهتان المطلتان على الفناء فيقدر ارتفاع جدارهما ب1.7م

3-النموذج الثالث: مخطط رقم 08 الطابق الأرضي والمخطط رقم 09 الطابق العلوي

يعتبر هذا السكن ابسط المساكن الموجودة لصغر مساحته كما انه يعبر عن فئة البسطاء و يحتوي على ضروريات الحياة بحدها الأدنى فهو منزل يختلف عن المنزلين السابقين فمساحته صغيرة و بواجهة واحدة مطلة على الشارع كما أنه في حالة مزرية فهو قابل للانهيار في أي لحظة ويعود السبب في ذلك بالدرجة الأولى إلى الرطوبة التي ألقت الأضرار بجدرانه وعدم وجود التهوية ، فالمنزل مغلق من كل الجهات ما عدا باب المدخل ونافذتان صغيرتان، كما أنه لا يحتوي على فناء خاصة إذا علمنا أن هذا الأخير هو بمثابة الرئة للمنزل في البيئة الصحراوية بصفة خاصة.

تقدر مساحة هذا المنزل بحوالي 45 م مربع فطوله 7م وعرضه 6.45 م ذو طابقين أرضي وطابق أول (مخطط 8)، مدخله في الجدار الشمالي يقدر ارتفاعه ب:، 1.90م وعرضه 1.20 م يؤدي مباشرة إلى سقيفة مستطيلة طولها 5.70م وعرضها3.20م على يمينها مدخل عرضه 0.80م يؤدي إلى غرفة طولها 5.70م وعرضها 3م بها نافذة صغيرة ومرتفعة وعرضها ، وفي الجهة الغربية من السقيفة نجد درجا منكسرا يؤدي إلى الطابق الأول، وفي منتصف الدرج أي المساحة المستطيلة التي يليها انكسار الدرج نجد الكنيف وهو عبارة عن غرفة صغيرة مساحتها 1م مربع تحتها حوض لتجميع الفضلات ، ويستمر الدرج في الارتفاع لناحية الجنوب بحوالي 3م يؤدي غلى الطابق الأول (مخطط 9) ومنه مباشرة إلى غرفة طولها 5.50م وعرضها 3م بها نافذة بجدارها الشمالي تقدر فتحتها ب: 0.90م ارتفاعا و 0.60م عرضا، وفي الجدار الغربي خزانة حائطية استغلت لوضع بعض الأغراض المنزلية وهذه الغرفة استغلت من طرف ساكني المنزل حاليا كمطبخ في الجدار الشرقي باب ارتفاعه 1.80م وعرضه 0.80م يؤدي إلى غرفة طولها 5م وعرضها 3م فتحت بها نافذة صغيرة مطلة على الشارع، ويبلغ سمك الجدران

في هذا الطابق ب: 40سم أما بالنسبة لمواد البناء وطريقة التسقيف فهي لا تختلف عن النموذجين السابقين.

من خلال مقارنة النموذج الثالث بالنموذجين الأول والثاني، نجده ذا تخطيط دخيل عن التخطيط المتعارف عليه في القصر، وهو ما سمح وأعطى لنا الفرصة بملاحظة النتائج في حالة عدم وجود الفناء، وجعلنا نتوصل إلى نتيجة مفادها أن هذا التخطيط غير قابل لتطبيقه في البيئة الصحراوية خاصة في القصور، وهو ما جعلنا أيضا نؤيد التخطيط الذي سار عليه النموذجان الأول والثاني للحصول على منزل يتوفر على كل شروط وضروريات البناء، أو "المنزل النموذجي" إن صح التعبير

نتائج و تحليلات للعناصر المعمارية لنماذج للمساكن السابقة

من خلال دراسة هذه النماذج نحاول دراسة أهم العناصر المتطابقة فيما بين

النماذج المذكورة وبعض المساكن المحلية، وربطها أيضا بالبلدان ذات البيئة المشابهة.

1-المظهر الخارجي :

الجدران الصماء الخالية من أي عناصر زخرفية، كانت السمة الغالبة على المنازل،

وخلوها من النوافذ باستثناء بعض الفتحات الصغيرة في أعلى الجدران، والميازيب الخاصة بتصريف مياه الأمطار، وتلك سمة امتازت بها عمارة البيئة الصحراوية، سواء في الجزائر أو في كثير من البلدان العربية الإسلامية، منها ذات البيئة الصحراوية، مثل البلدان الواقعة في شبه الجزيرة العربية بسبب

- أولا-ما فرضته البيئة على المعمار، للتقليل من أثر الطبيعة القاسية، بنوعيها الحار والبارد،

-ثانيا-توافقا مع الضوابط المفروضة من طرف منظري العمران الإسلامي

-ثالثا-لعدم جدواها بالنسبة لتقارب المساكن فيما بينها، الأمر الذي لا يسمح بإدخال النور إلى الغرف إلا بنسبة ضئيلة جدا،

ويعوض بواسطة النوافذ المطلة على الفناء كما رأينا.

وكذا الحال بالنسبة للميازيب فهي عنصر مشترك بين مباني أغلب البلدان فلها أهمية كبيرة في تصريف مياه الأمطار أثناء هطولها، خوفا من سقوط السقف الذي جله في المساكن الصحراوية مستوي، فضلا على أنه مشكل من الطين، فعند تشبع هذا الأخير بالماء فإن وزنه يصبح عدة أضعاف من وزنه الأصلي، وبالتالي يكون مأله السقوط، ولعدم حصول ذلك لجأ المعمار إلى تشكيل عدة ميازيب على سطح واحد وتوزيعها في عدة جهات من مستوى سطح المنزل.

وكانت غالبية أبواب هذه المنازل متناكبة، وذلك لغرضين أولهما يدخل في إطار عدم كشف حرمة الدار، وثانيهما لترك مساحة واسعة في الشارع وعدم اكتظاظه ليفسح المجال أمام كل واحد قبالة منزله، وهذه أيضا علامة مشتركة في الحضارة الإسلامية، فرضها الشارع المتكفل بالعمران، بحيث يكون عدد مداخل المساكن منفردا، وذلك لفسح المجال أمام كل صاحب منزل، والسبب في ذلك ناتج عن ضيق الدروب، بل وحتى الشوارع الرئيسية طالما أن هذه الأخيرة مشاعة لكل الناس، داخل القصر[1].

[1] [1] محمد عبد الستار (عثمان) ، المرجع السابق ، ص.159.

2-الأقسام الداخلية:

- المداخل والأبواب:

تأثر تصميم المنزل الصحراوي بالعوامل المناخية وهو ما أدى بالبناء إلى تكييفه حسب بيئتها، فكانت محاور الدور محورية" ثم تحولت إلى النظام المنكسر وأصبحت السمة الغالبة عليها فالمحورية كالتي لاحظناها في النموذج الأول، أما المنكسرة هي تلك الموجودة في النموذج الثاني، وقد استعملت في كلتا الحالتين لتكسير التيار الهوائي المحمل بالرمال، وقد زودت هذه المداخل بأبواب ذات مصراع واحد وصنعت في أغلب الأحيان من خشب الصفصاف ومن المواد المحلية

- السقائف والأروقة:

تعد السقيفة بمثابة الفاصل بين الشارع والمنزل، ودورها حجب الرؤية حتى لا يتمكن المارين من رؤية من في وسط الدار من الأهالي ، وهي كلها بخط منكسر ،حتى في غير مساكن قصر عين ماضي، وذلك لعدة أسباب منها المذكورة سابقا، وتكسير التيار الهوائي الجارف الذي ينبعث من المدخل في اتجاه الصحن أو العكس، وهو العامل الذي يؤثر سلبا على صحة الإنسان، خاصة عند الدخول إلى البيت أثناء فترة وسط النهار، حيث الحرارة في قوتها، إضافة إلى أن مواد البناء كلها هشة من الخشب إلى الطين، وأيضا ضرورة السعي لتشكيل بعض الوحدات المعمارية بجانبها كالكنيف أو المخزن أو مجال عمل المرأة، خاصة عمل الغزل النسيجي، وأيضا إيجاد قاعدة تستند إليها قاعدة السلم الذي غالبا ما يكون في السقيفة كما زودت المنازل بأروقة، والجدير بالذكر أن الأروقة عرفت منذ وقت مبكر حيث لوحظت في كل العمارة القديمة[1]، وهذه

[1] محمد الطيب عقاب ، "المدخل إلى المسكن العربي الإسلامي بمدينة الجزائر"، المؤتمر العاشر للآثار في البلاد العربية ، تلمسان، الجزائر 1982، ص 08.

الأروقة تفصل بين الصحن والغرف، وتستعمل أيضا للجلوس في أوقات الحر، بما توفره من ظلال وتحجب أشعة الشمس المواجهة للغرف مباشرة، كما أنها تحمل ثقل الطابق العلوي مثلما رأينا في النموذج الثاني من مساكن القصر.

- الفناءات :

الفناء هو العنصر الوحيد في السكن المعروف في كل الحضارات عبر التاريخ، ولذا هو موجود في المسكن الصحراوي، وله وظيفة نقل العالم الخارجي إلى داخل المسكن، وقد كان قبل ذلك سمة العمارة القديمة وامتد إلى العمارة الصحراوية، فمن خلاله يتم نقل الهواء وضوء الشمس والسماء، كما يؤدي الهواء دورا اجتماعيا وتنظيميا، فهو مكان تجمع العائلة في أفراحها وأتراحها، وحوله تتوزع الغرف لتتزود بالهواء، وقد لاحظنا دوره في مساكن القصر، ومدى أهميته وتأثيره في حالة الاستغناء عنه، لذلك فإن الفناء يشغل المساحة الأكبر في المسكن

- الغرف وتكويناتها:

تتوزع أغلب الغرف حول الفناء، ففي النموذج الأول ونظرا لاتساع مساحته فإن صاحبه لم يلجأ إلى بناء طابق آخر، وبذلك كانت أغلب غرفه موزعة حول الفناء، وقد تميزت بكثرتها حتى بلغت عشر غرف، وتتراوح مساحاتها ما بين 6م مربع ل أصغرها30 م مربع لأكبرها، وأغلب هذه الغرف ذات شكل مستطيل حيث نجد طولها يساوي ضعف عرضها أو يفوق ذلك، ويعود هذا إلى الطول المحدود للعوارض الخشبية الممتدة عرضا على سقف الغرف، ويرجع سبب استطالة الغرف إلى سببين أساسيين، الأول المذكور سابقا وهو محدودية استطالة العوارض الخشبية، فضلا عن محدودية قدرتها على تحمل ثقل سمك السقف الثخين وتعدد طبقاته التي يتركب منها، وثانيا عند البدء في تشييد المنزل تكون رغبة صاحب البيت في أن يكون الصحن أو الفناء مربعا ولذلك يشرع في

اقتطاع الصحن بشكل مربع، وبالتالي ينتج عن ذلك وحدات معمارية مستطيلة، لأن الصحن يعتبر لدى السكان هو الأهم بالنسبة لكل وحدات البيت، بسبب ما كان يجرى فيه من أعمال كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وكذلك لأنه يعتبر العصب الحيوي أو الرئة التي يتنفس البيت من خلالها، ولأنه فضاء رحب يسع كل أغراض العائلة بما فيها المطبخ الصيفي عند أهل الصحراء والريف معا، وأعمال النسيج بمختلف أشكاله[1].

أما النموذج الثاني فبالرغم من مساحته المتوسطة إلا أن صاحبه اختار التوسع العمودي ببناء طابق أخر وربما يعود ذلك إلى أن المنزل كانت تسكنه عائلتان، نظرا الوجود مطبخين، وغرفه تتوزع أيضا حول الفناء، عددها سبع غرف تتراوح مساحاتها ما بين 9م لأصغرها و 20م" لأكبرها، حيث يبلغ طول الغرف الصغيرة حوالي 5م وعرضها حوالي 3م، وبالنسبة للغرف الكبيرة طولها حوالي 6م وعرضها 3م. تتميز غرف هذين النموذجين بالضيق والاستطالة وتزويدها بنوافذ كلها فتحت على الفناء، وزودت أغلب الغرف بمداخن سواء كانت للتدفئة أو لاستعمالها كمطابخ للطهي، وكذلك بكوات فتحت بالجدران لوضع وسائل الإنارة أو كخزائن حائطية لوضع بعض الأغراض المنزلية.

أما النموذج الثالث فبالرغم من اختلافه عن بقية النماذج في النظام التخطيطي إلا أنه يتوافق معهم في مواد البناء، التي لا تخرج عن الطوب والحجارة واستعمال جذوع الصفصاف والقصب في التسقيف، ولا شك أن هذا الاختلاف ناتج عن مساحته المحدودة التي دفعت صاحبه إلى التوسع العمودي، ببناء طابق آخر والاستغناء عن الفناء للحصول على ثلاث غرف مساحة كل غرفة 18م، وهذا النظام التخطيطي يعد خروجا عن المألوف المعماري السائد قبل العصر الحديث.

[1] ـ الريحاني (عبد القادر)، "البيت في المشرق الإسلامي المؤتمر العاشر للآثار 1982، ص 17.

- المطابخ والمخازن

تعد المطابخ والمخازن من المرافق المهمة في العمارة المدنية عامة، وقد احتوت كل منازل القصر على هذين المرفقين إلا أن الاختلاف بينها يعود إلى المساحة والعدد حيث تختلف من منزل إلى آخر فمثلا رأينا النموذج الأول كانت مساحته كبيرة كذلك كان المطبخ كبيرا نوعا ما، أما النموذج الثاني فقد احتوى على مطبخين أحدهما في الطابق الأرضي والآخر في الطابق الأول، وكانت هذه المطابخ مزودة بخزائن جدارية ومواقد للطهي ونوافذ للتهوية، إضافة إلى أنها واسعة ويرجع سبب ذلك إلى أن أفراد العائلة غالبا ما كانت تجتمع في المطبخ لتناول الوجبات اليومية، لذلك عمد البناء إلى توسعته لاستغلاله كغرفة أكل أيضا.

أما المخازن فهي غرف صغيرة تعرف ببيت الخزين أو المخزن، وهي عادة ما تكون ذات مساحة أقل من مساحة الغرف الأخرى وتقع في أغلب الأحيان بجانب المطابخ لتسهيل نقل الأغراض إليها، وقد يحتوي المنزل أحيانا على مخزنين مثلما رأيناه في النموذج الأول. ولضرورة وجود المخزن فقد استغل جزء من المطبخ على شكل سدة في النموذج

الثالث لاستغلالها في حفظ الأدوات والأغراض، وذلك نظرا لضيق مساحة هذا المنزل،

وتقع هذه المطابخ والمخازن كلها في جناح واحد، متصلة ببعضها تجنبا لحركة مبعثرة في كل الاتجاهات مع إيجاد وسيلة للتهوية في ذات الوقت.

- الكنيفات :

يتشابه تصميمها في أغلب المنازل، فقد بنيت في الفناء وهي مرتفعة قليلا عن أرضيته بحوالي 0.6م، ويتم الصعود إليها عن طريق درج، وتستغل المساحة السفلية في تجميع الفضلات، حيث تمد بها أنابيب الصرف الفضلات خارج القصر والجدير بالذكر أن هذا النظام لا يتوفر في كل مساكن القصور الصحراوية فوجوده محدود جدا.

- وسائل الدعم :

الدعامات: هي عنصر معماري وجد في المباني القديمة تنم عن تطور فكر الإنسان في مجال البناء، ولا يمكن لنا الجزم حول أول من استعمل هذا العنصر المعماري، و إذا كانت الأعمال البنائية كلها تحمل الدعامات، وكل حسب إتقانه في مجال الشكل الجمالي، فنجدها مثلا في عمارة الإباضين بسدراتة متقنة تنعدم فيها الزوايا القائمة، بل هي شبه مستديرة، وكذلك كانت في مختلف العمائر الأخرى لدى الشعوب الإسلامية كرباط سوسة، وغيرها من البلدان الإسلامية[1]

وقد استعملت في النموذج الثاني لرفع سقف الرواق دون اللجوء إلى العقود وهي مربعة المسقط ، فالدعامات عنصر مهما لا يمكن الاستغناءعنه في كل المباني سواء كانت دينية أو مدنية أو عسكرية وقد رأينا الدعامات المدمجة بالجدران في الجامع العتيق ، وكذلك الدعامات ذات المسقط المربع في أغلب مساكن القصر، واستعملت في رفع ثقل سقف الرواق في النموذج الأول وهي مستطيلة المسقط، وكذلك في رفع سقف الطابق الأول في النموذج الثاني سواء كانت ذات مسقط مربع أو مدمجة بالجدران، فأهميتها هذه تفرض وجودها في كل المباني في مختلف أنواعها

الأعمدة: العمود هو ما يدعم به السقف أو الجدار، ولقد أخذ العمود عدة تسميات فهو عمود في المشرق وسارية في المغرب وشمعة في لبنان واسطوانة على لسان بعض الكتب، ويرى توفيق عبد الجواد في معجمه أن هناك أعمدة دائرية المسقط ومربعة ومستطيلة وتبني من الحجر أو الطوب أو الخرسانة أو الخشب ... ويصمم مقاسه طبقا للأحمال الواقعة عليه، في حين المتعارف عليه أن الأعمدة تكوندائما دائرية المسقط،

[1] - أحمد فكري ، آثار تونس الإسلامية ، دار المعارف ، تونس 1949، ص 02.

خاصة عند قواعدها التي غالبا ما تكون متدرجة من الانفراج إلى التراجع، وقد تكون قواعدها بدون طبقات متدرجة، كما تتوفر على أكثر من طبقة[1].

من ناحية العمارة فقصر عين ماضي يتميز بثلاث أنواع من العمارة، لكل واحدة مميزاتها و مفاهيمها الخاصة. فقد تميزت العمارة الدينية بفخامة تصاميمها المعمارية فقد لاحظنا إفراطا في استعمال العقود و الأعمدة و الزخرفة، أما العمارة العسكرية فقد تميزت بضخامة أسوارها، أبراجها و حتى أبوابها من حيث الحجم و كذا من ناحية مواد بنائها فمظهر الحجارة يعطيها ضخامة أكثر. أما العمارة المدنية فقد امتازت بالبساطة و خلوها من العناصر المعمارية، فقد كان معظمها لا يحتوي على أعمدة أو أقواس أو زخرفة.

السلالم: اغلب السلالم التقليدية بقصر عين ماضي تبنى إما على عوارض خشبية سميكة (الشكل رقم :15) أو على جدار سميك من الحجارة (الشكل رقم :16)عرضها يتراوح ما بين (50 و 100سم) وعلوها ما بين (15 و 20سم)، غالبا ما تكون هذه السلالم مستقيمة ذات جهة واحدة. واستعملت الحجارة المسطحة من أجل بناء الدرجات و هي تستعمل في عدة فضاءات من استعمالها في الكنيف لرفع مستواه الى استعمالها في الوصول الى الطابق الأول و كذا تستعمل في المصريات لرفع غرفة الاستقبال الى الأعلى بالنسبة لمستوى الشارع .

[1] - توفيق عبد الجواد ، معجم العمارة وإنشاء المباني، القاهرة 1985، ص 238..

الخاتمة

الخاتمة

إن الدراسة الأثرية المعمارية التي قمنا بها حول نموذج قصور جبال القصور والمتمثلة في قصر عين ماضي مكنتنا من استخلاص عدة نتائج متعلقة به، وأثناء دراسة القصر تبين انه خضع لعدة عوامل مختلفة في تأسيسه وتخطيطه، كما أنه مطابق لشروط بناء المدينة، الموقع الاستراتجي أو الموقع المفضل ذو المناخ الحسن من اعتدال المكان وجودة الهواء وسعة الماء والقرب من المرعى والاحتطاب وتوفر الغذاء.

إن قصر عين ماضي هو أحد القصور الصحراوية المنتشرة بولاية الأغواط، والتي تعتبر مكانا ملائما لتأسيس قصور آنذاك و ذلك لما تتوفر عليه من موارد مائية و نباتية و أراضي صالحة للزراعة تمكن من توفير العيش لسكانها. كما تمتاز المنطقة بتحصينات طبيعية تتمثل في أماكن منخفضة ومرتفعة يسهل الدفاع عنها، فقد بني قصر عين ماضي فوق مرتفع حجري. و لم توفر الحماية له طبيعيا فقط بل يتميز قصر عين ماضي أكثر من غيره من القصور المحيطة بتحصينات ضخمة و فريدة و ذلك لأهمية القصر خاصة بعد أن أصبح مهدا للطريقة التيجانية، فقد عرف عدة أحداث سياسية، دينية، اقتصادية و اجتماعية على مر القرون.

إن الدراسة الأثرية المعمارية التي قمنا بها حول نموذج قصور جبال القصور والمتمثلة في قصر عين ماضي مكنتنا من استخلاص عدة نتائج متعلقة به من خلال هذه الشروح يتضح لنا أن القصر وافق تلك الشروط من وجود عين جارية، وبناء القصر فوق الهضبة وإشرافه على جميع النواحي لمدى بعيد محاط بسور تتخلله أبراج، وقربه من المحطب للعيش وعين تزود أهل القصر وبساتينهم بالماء، كما أن للموقع الجغرافي للقصر بموقعه فوق ربوة أثر في تحديد نمط تخطيطه العمراني الذي أخذ الشكل الدائري ولجأ سكان القصر إلى المكان المرتفع لتسهيل عملية الدفاع والحماية، وهذا يدل أن القصر كان ذو طابع حربي دفاعي أكثر منه تجاري أو محطة استرخاء للحجاج أو عابري الطريق، إن موقع القصر وتخطيطه خضع إلى شكل الهضبة أما التدرج في

المساكن راجع إلى شكل الهضبة وكذلك طريقة بنائهم من استعمال لمادة الحجارة التي كانوا يجلبونها من الهضبة وما تجدر الإشارة إليه أن القصر كان مكانا تخزن فيه المنتجات الفلاحية لتموين القصور المجاورة.

إن البيئة الجغرافية فرضت على سكان القصر وحدة التصميم في الشكل العام وانتقاء المواد البنائية وطريقتها، فالقصر من خلال تخطيطه العمراني المتراص والمتلاحم يترجم تلاحم سكان القصر وتآزرهم، فبناء القصر تأقلم مع الطبيعة القاسية لتلبية حاجاته الضرورية كما استغل المواد الطبيعية في بناء قصره من الطين، والخشب والمعادن وغيرها من المواد البنائية لتقيه من عوامل طبيعية تتمثل في الرياح والأمطار والحرارة والبرودة.

وفيما يخص المساكن فهي من المكونات الأساسية للقصر، إذ روعي في تصميمها الحرية المطلقة دون الإخلال بالنسيج العمراني للقصر فالمسكن الصحراوية يغلب عليها الطابع المتضام والبيئي، وتتسم بالبساطة في بنائها مع التناسق التام، كما أن تخطيطه يخضع لعدة عوامل من بينها المناخ، وتمتاز هذه المساكن بالبساطة والتناسق فهي تخلو من الزخرفة ومظاهر الترف، ومنازل القصر ذات طابق واحد وغالبا ما نجد طابقين، كما صممت مسالك وممرات مختلفة التوجه منها المتجهة من الجنوب إلى الشمال، ومن الغرب إلى الشرق، تفتح فيها مداخل البيوت لتفادي أشعة الشمس واستقبال الرياح الشمالية، والاتجاه من الغرب إلى الشرق قليلا ما تفتح فيها مداخل البيوت، أما شوارع القصر فهي تختلف في مقاساتها تلبي احتياجات السكان في سهولة المرور والتنقل بها وما يميز القصر هو احتوائه على شوارع مسقفه و أخرى غير مسقفه ، تتميز هذه الشوارع بالالتواء والتعرج وشكلها الدائري متبع الشكل الدائري للقصر كما احتوى القصر على مسجد عتيق ومدرسة قرآنية، باعتبار المسجد النواة الأساسية ومركز الثقل للقصر، فمن حوله تتبلور التجمعات السكنية، وتنتهي إليه شوارعها وأزقتها، والمسجد لم يكن مكانا للعبادة فقط بل هو بمثابة جامعة تعليمية لتعليم القيم والمبادئ الإسلامية، وتحفيظ القرآن الكريم وبصفة عامة يعبر عن مدى ارتباط الناس بالإسلام وهذا يبين الدور المهم الذي يلعبه المسجد في المجتمع الإسلامي، خصوصا في الفترة الاستعمارية التي برز فيها دور المسجد خاصة والزاوية عامة في زرع روح الجهاد والثورة

على المستعمر وكذا احتواء القصر على محضرة التي هي عبارة عن حجرة صغيرة تقع إما فوق المسجد أو بداخله أو بجواره تخصص عادة لتحفيظ القرآن الكريم للأطفال الصغار وحتى الكبار، وتعليمهم مبادئ الكتابة والقراءة وتم إحاطة القصر بسور تخلله مزاغل ودعم بأبراج صغيرة محكمة البناء، وزود القصر بمداخل ذات النمط الإسلامي، وهذا لحماية سكان القصر من الهجمات المتكررة عليهم وعلى منتجاتهم الفلاحية رغم مرور الزمن إلا أن القصر لازال محتفظا بمعالمه وطابعه الأصيل، وجاء موافقا للمواصفات المعمارية الإسلامية من حيث توزيع الشوارع ومداخل القصر، ومداخل البيوت، وتوفر القصر على الرحبات والمرافق العامة كالدكاكين، كما عرف تطوره المعماري مسارا منظما في الإنشاء، ابتداءا بالجامع العتيق و الذي يعتبر نواة القصر، و تميزت هيكلته العمرانية حاله حال جل القصور الصحراوية

و لكن القصرعين ماضي مثله مثل القصور الصحراوية تواجه عدة مشاكل في وقتنا الحالي يمكن إيعاز أسبابها إلى التطور الاجتماعي والاقتصادي وغياب الوعي بأهمية التراث العمراني. بحيث هجر السكان منازلهم التقليدية في القصور بحثا عن مسكن بالمجمعات السكنية الجديدة، وقد تكونت ثلاثة اتجاهات فكرية حول القصور الصحراوية

– الاتجاه الأول :ينظر إلى المدينة القديمة بنوع من التقديس، ويدعو للمحافظة على معالمها الأثرية باعتبارها شواهد على حضارة كانت ويرفض أي تغيير أو تحديث ولو في أضيق الحدود.

–الاتجاه الثاني: يتبنى نزعة التطور والتقدم، ويرى أن المدينة القديمة هي جزء من المدينة المعاصرة ككل، وبالتالي لابد أن تطالها آثار هذا التطور، ولذلك يجب إفساح المجال أمام تطبيق المخططات التنظيمية عليها لدمجها في المجال العمراني والاجتماعي الحديث، حيث إنها جزء من الماضي لم يعد يؤدي دوره الوظيفي في ضوء التطورات الحالية، بل إنه أيضا يشكل حجر عثرة أمام التطورات الاقتصادية والاجتماعية

– الاتجاه الثالث: ينظر إلى المدينة القديمة باعتبارها كيانا حيا، وإرثا ثقافيا متميزا يجب المحافظة عليه، إنما أيضا عدم إغفال ضرورة تلاؤمه مع التطورات الحالية، الأمر الذي يستدعي التعامل مع هذا الكيان، بكافة أبعاده العمرانية والمعمارية والاقتصادية والاجتماعية، بكثير من الشفافية، باعتباره موجود موضوعيا، وهو العنصر المؤشر الأهم على التمايز الحضاري والثقافي بين الشعوب. إن السياسة الثالثة تتعامل مع المدينة القديمة باعتبارها جزءا من الماضي والحاضر والمستقبل، فهي بهذا المعنى تعكس البعد المتغير للزمن، والمتمثل في النظر إليها كإرث ثقافي، إنما أيضا لا تغفل أهمية العمل على تلاؤم مكوناتها مع المستجدات والتطورات الحالية

لقد أثبتت التجارب العديدة في مسألة الحفاظ على التراث العمراني، أنه لا يمكن الاكتفاء فقط بالمحافظة على مجموعة من المباني والمعالم الأثرية، بل أيضا يجب أن تتعداها إلى ضرورة الارتقاء بالبنية الهيكلية للمدينة القديمة ككل، كذلك لا يمكن الاكتفاء بحل مشكلة بعينها، بل أيضا لابد من النظر إليها من خلال انعكاساتها وتأثيراتها المتبادلة مع المشاكل الأخرى

ان التراث المعماري له أهمية بالغة في تجسيد و تطوير المجتمع و المحافظة على الهوية الجزائرية خاصة في الجانب التاريخي و الاثري لانه يشكل لنا صورة من الماضي تشرح لنا المبادئ و القيم الإسلامية و الحضارية لمجتمعاتنا وتكمن أهمية التراث المعماري للقصور الصحراوية في النقاط التالية:

– يمثل التراث المعماري والمناطق التاريخية جزءا أساسيا من ملامح المدن والقرى ويعطيها الأصالة والجمال بين المدن والمناطق الأخرى وما لذلك من أهمية تاريخية وثقافية

– يمثل التراث المعماري والمناطق التاريخية بكل ما فيها مدرسة تخطيطية و معمارية يمكن الاستلهام منها لتميز طرزها المعماري وكفاءة استغلال الفضاء فيها وظيفيا وجماليا إضافة إلى حسن توظيف

– استعمال مواد البناء المحلية، كما تقدم نماذج للانسجام بين الإنسان والبيئة المحيطة

– يمثل التراث المعماري للقصور الصحراوية الحيز الذي يعيش فيه الزمن القديم مما يجعل لهذا التراث قيمة رمزية وروحية عالية بالإضافة إلى القيمة الأثرية التاريخية والقيمة التوثيقية العلمية وأحيانا قيمة دينية

– الأهمية السياحية للقصور الصحراوية النابعة من أصالتها و تاريخها إضافة إلى ما يتبعها من أهمية اقتصادية واجتماعية

ويعتبر التراث المعماري والعمراني للقصور الصحراوية رمزا للتطور الإنساني عبر التاريخ وتعبيرا عن القدرات التي وصل إليها سكان هذه المناطق في التغلب على المشاكل البيئة و المناخية المحيطة بهم.

الملاحق

ملحق الخرائط

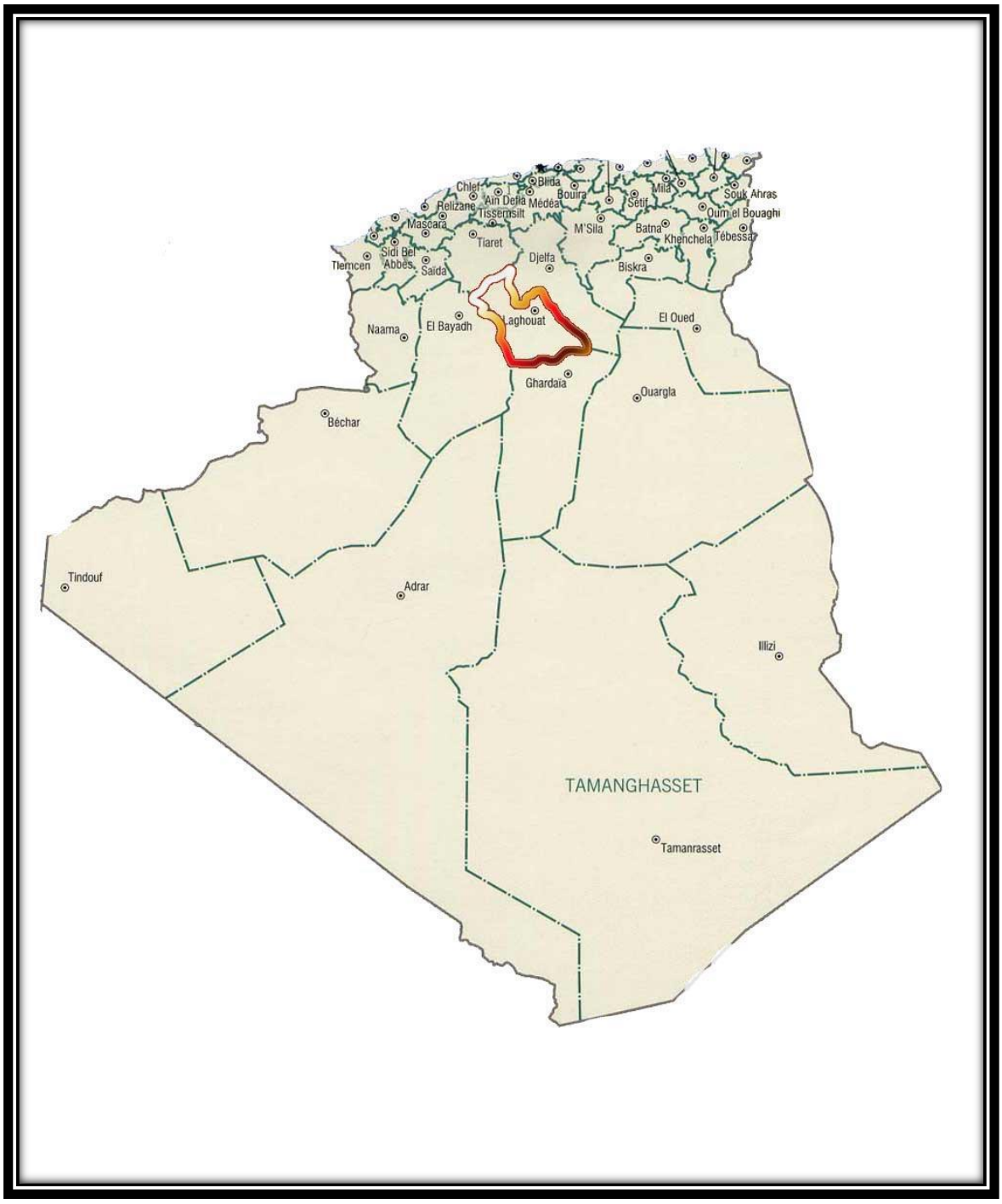

الخريطة رقم 01 موقع الاغواط بالجزائر

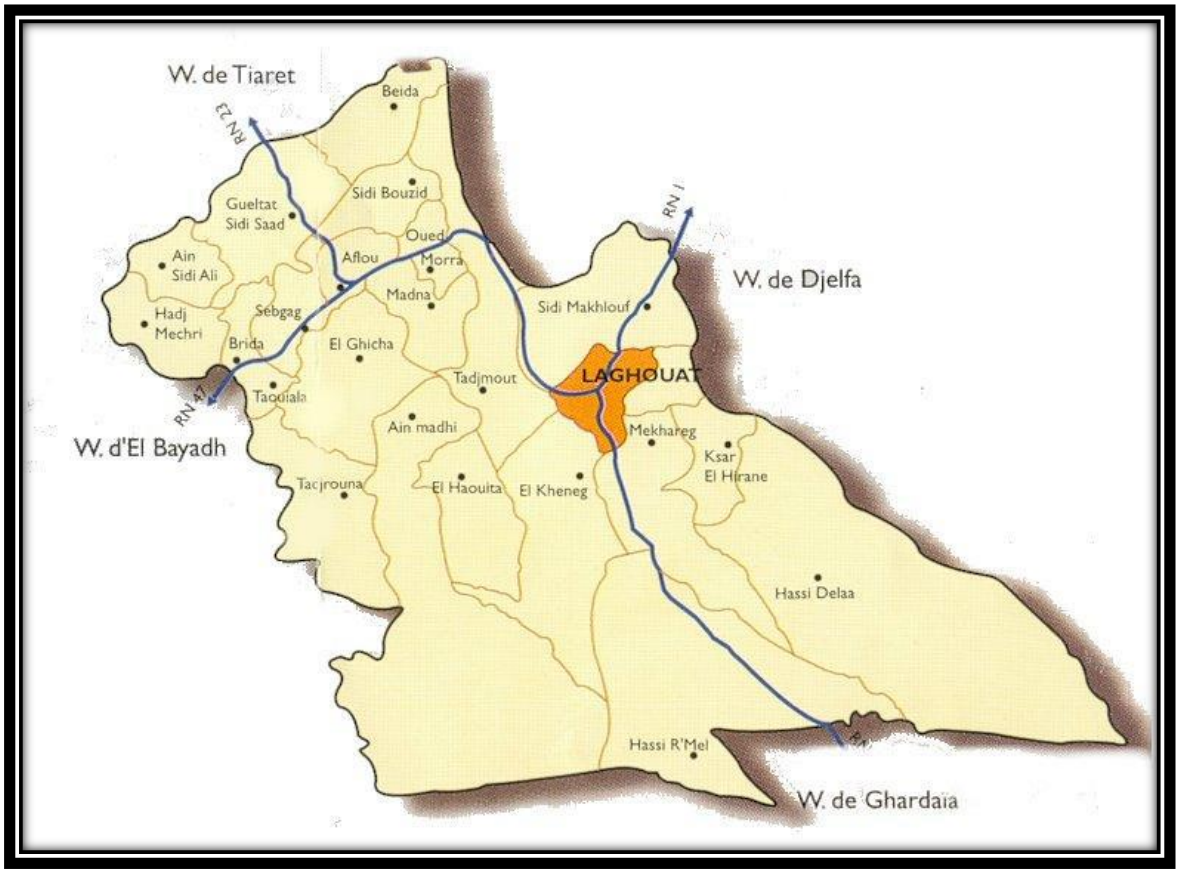

خريطة لولاية الاغواط رقم: 02 الموقع الإقليمي و الإداري لبلدية عين ماضي

المصدر: عن P . D . A . U

ملحق

المخطوطات

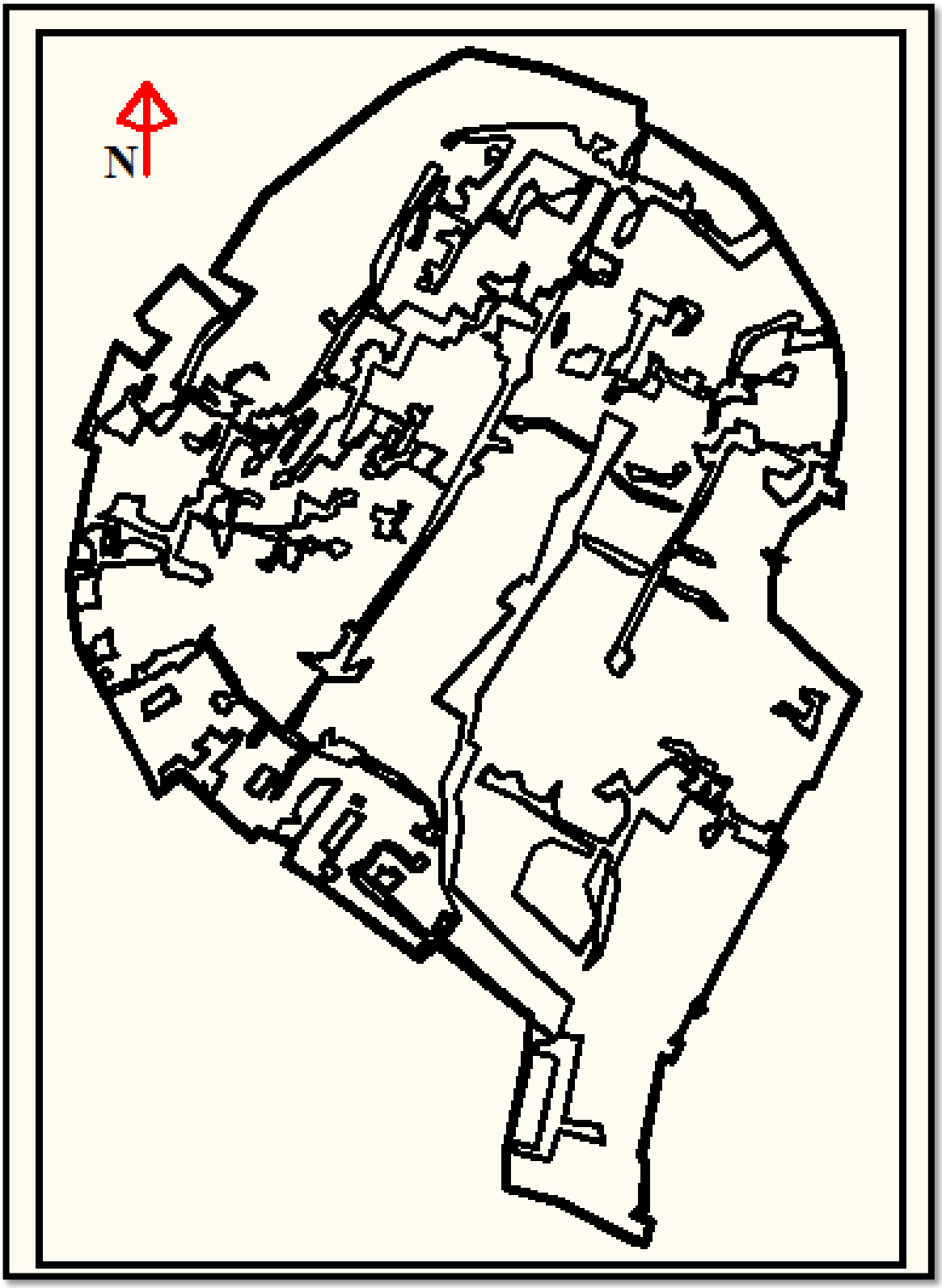

مخطط عام للقصر في الحالة الراهنة (من اعداد الطالب)

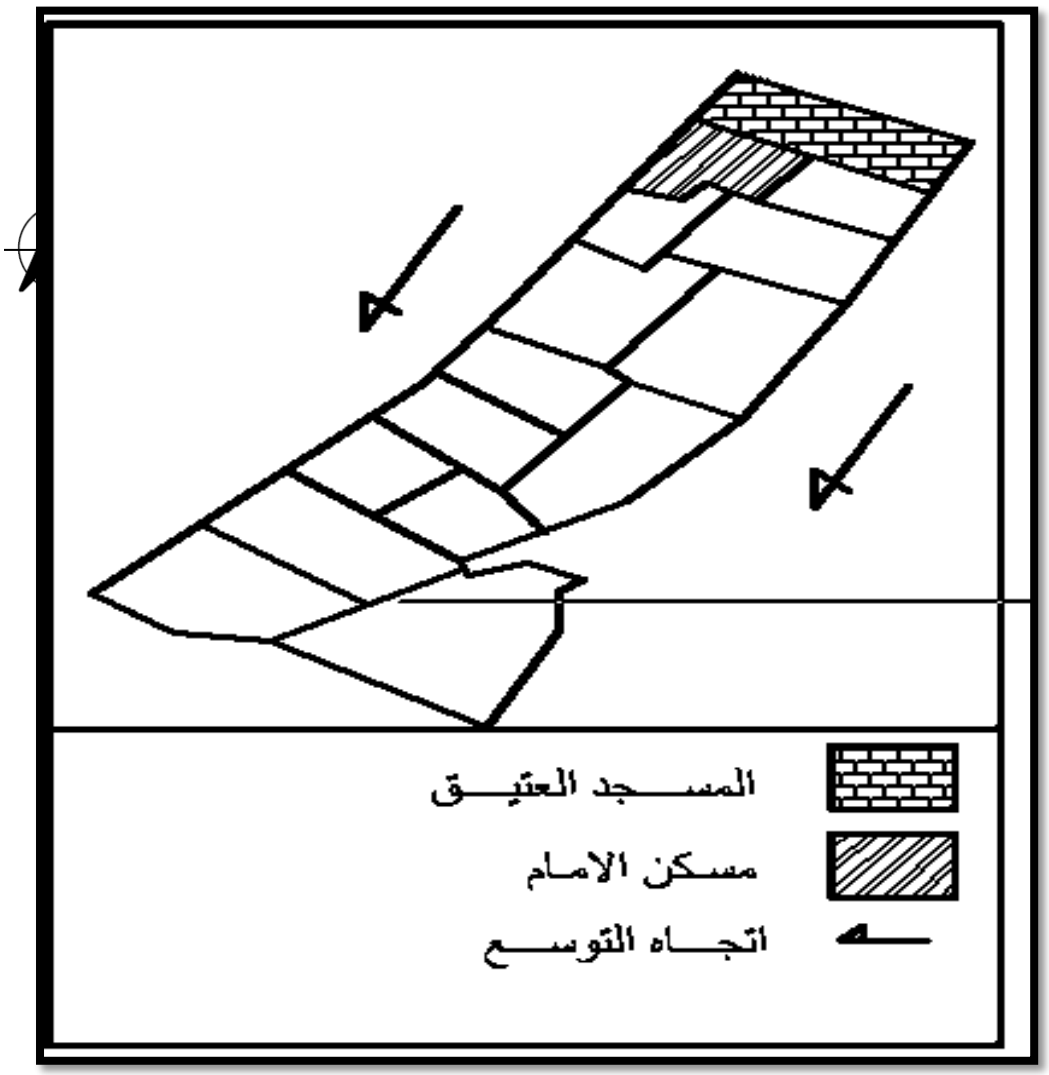

(من اعداد الطالب) (مخطط رقم :01) **المرحلة الأولى لتكوين قصر عين ماضي**

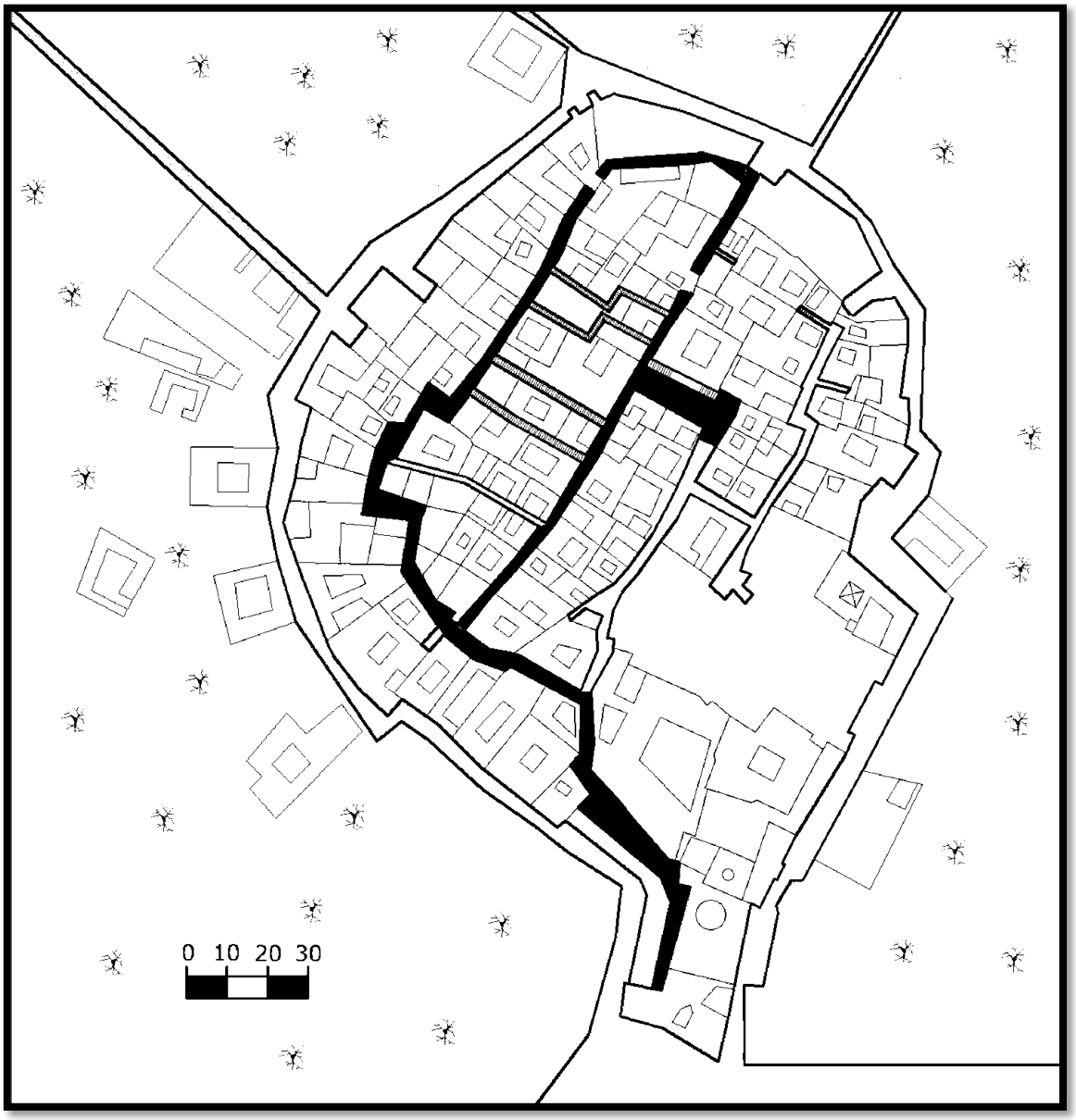

(من اعداد الطالب) **مخطط رقم 02: مخطط الشوارع و الأزقة و الرحبات بقصر عين ماضي**

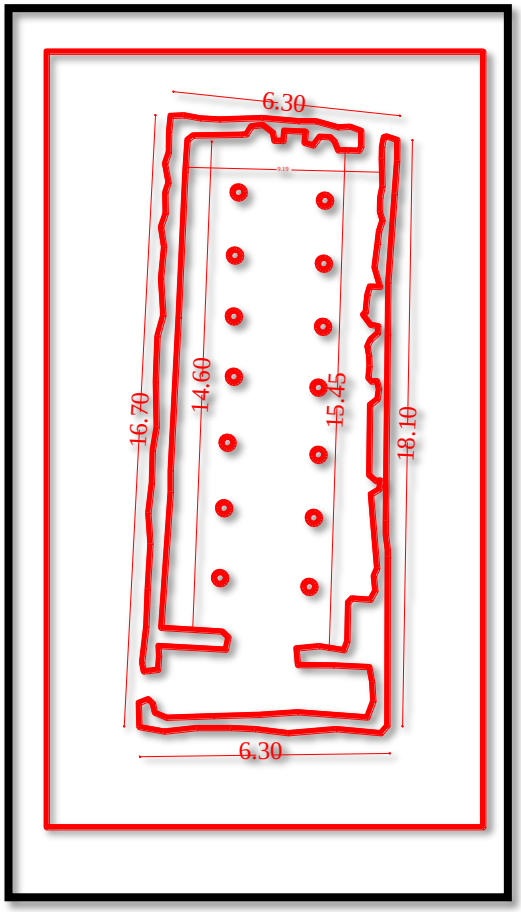

(من اعداد الطالب) **مخطط عام 03: المخطط الداخلي للجامع العتيق**

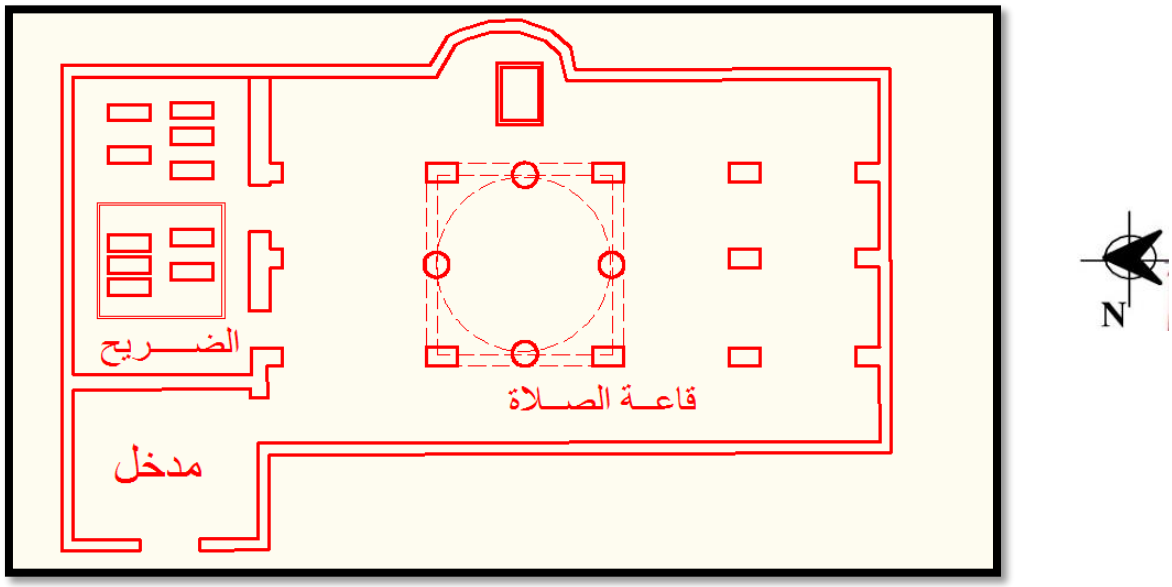

(من اعداد الطالب) **مخطط عام 04 : المخطط الداخلي لجامع الزاوية**

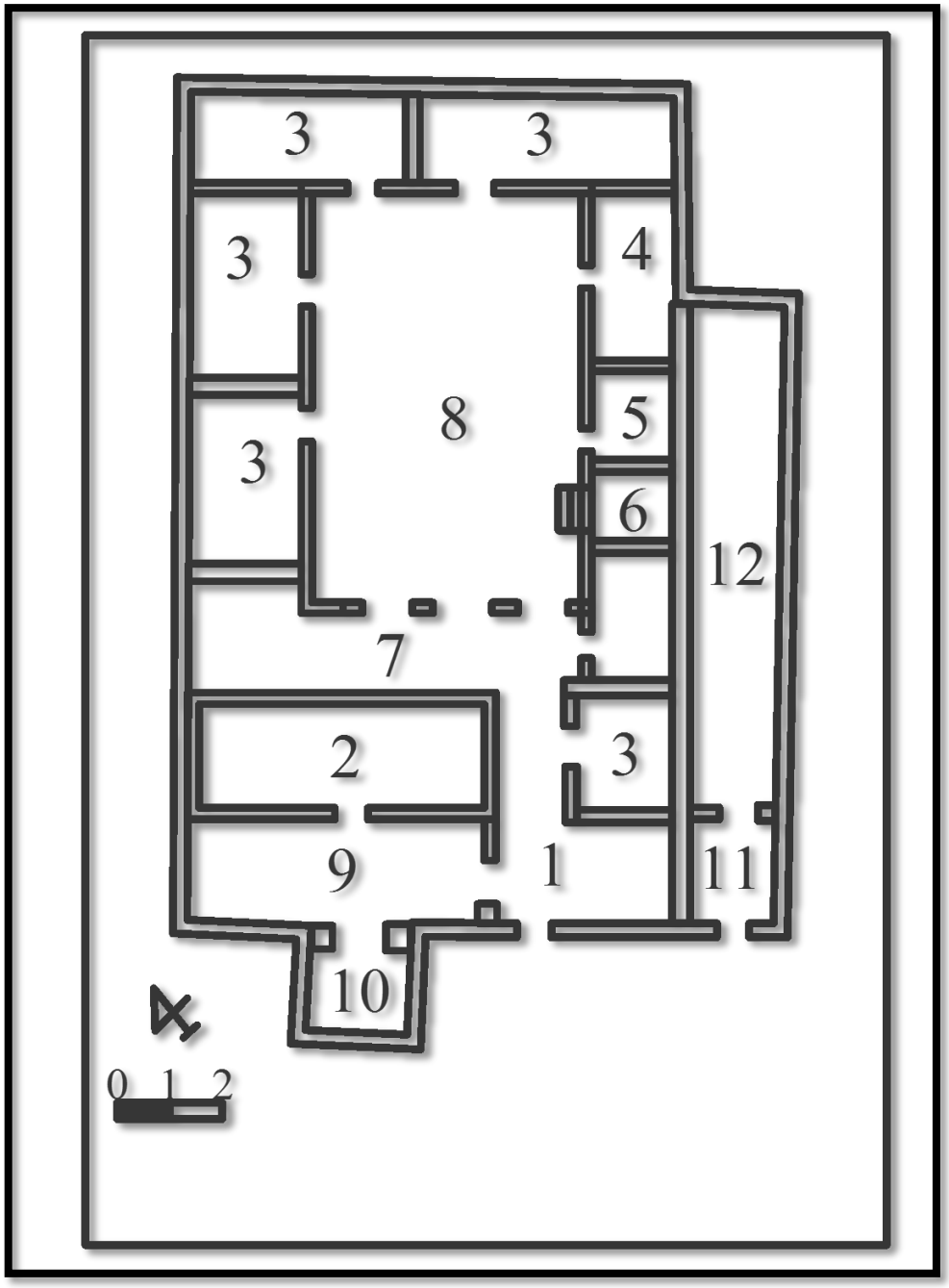

(من اعداد الطالب) مخطط عام 05: نموذج الأول للمسكن بقصر عين ماضي

1 –سقيفة	5 –مخزن	9 –حديقة
2 –دار الضياف	6 – كنيف	10 –ايوان
3 – غرفة	7 –رواق	11 –مستودع
4 – مطبخ	8–فناء	12 –حضيرة

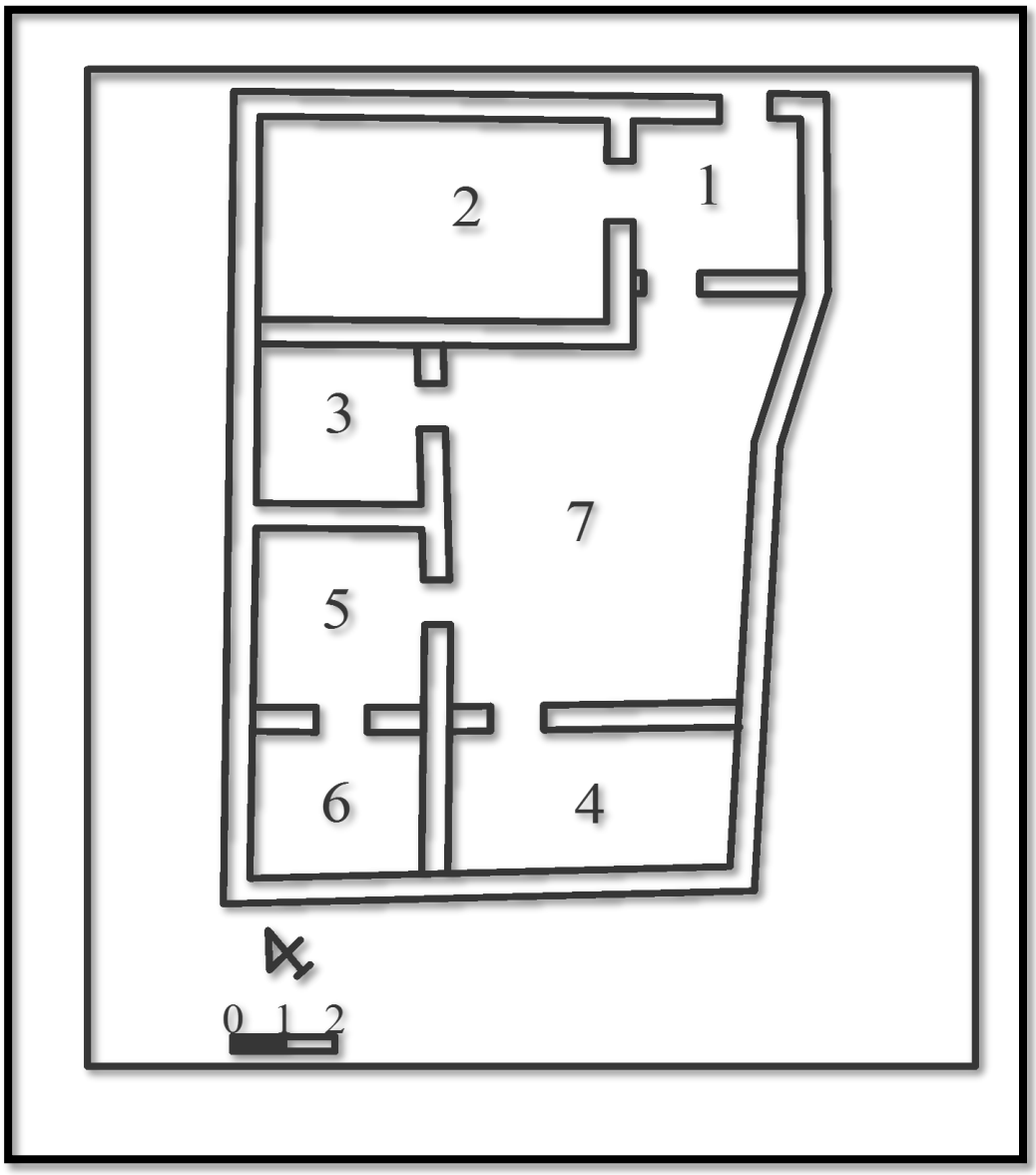

(من اعداد الطالب) مخطط عام 06: النموذج الثاني للمسكن بقصر عين ماضي الطابق الارضي

1 –سقيفة 5 –مطبخ

2 –دار الضياف 6 – كنيف

3 – غرفة 4 – مطبخ

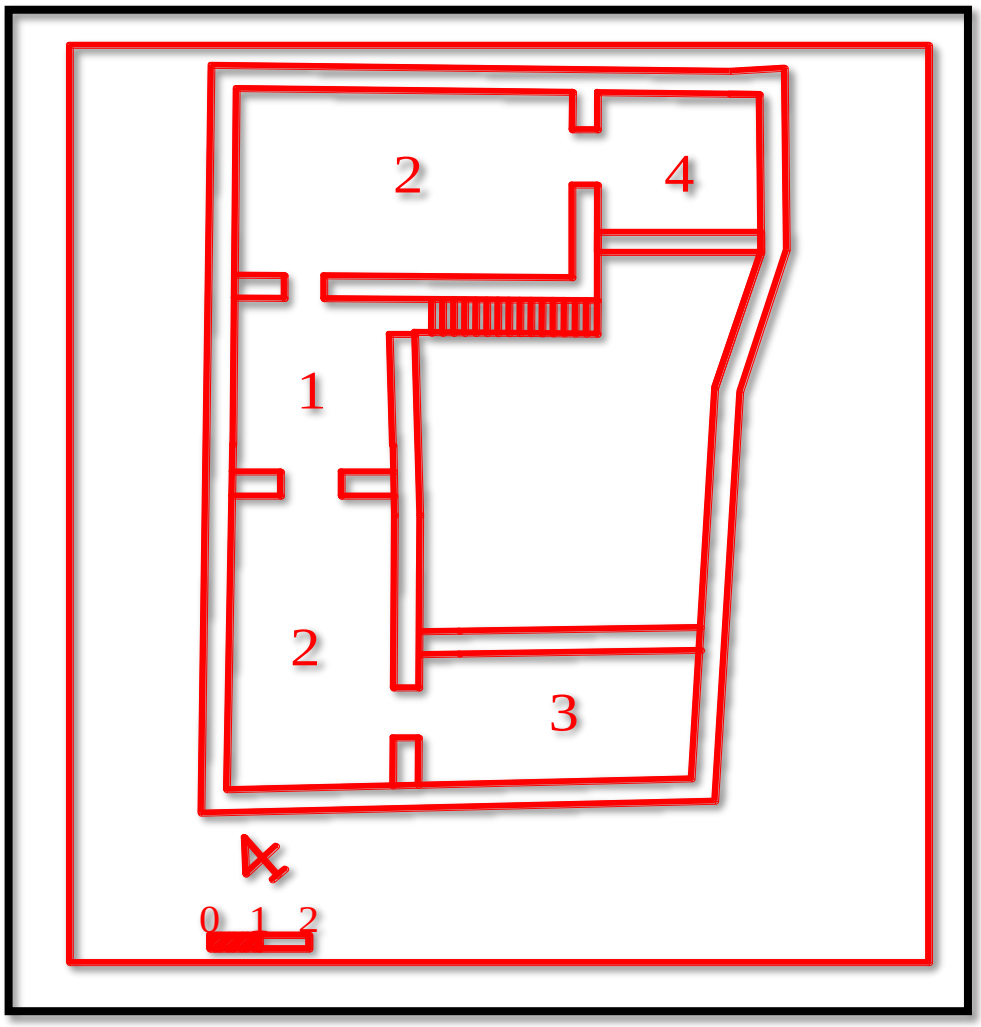

(من اعداد الطالب) مخطط عام 07: النموذج الثاني للمسكن بقصر عين ماضي

الطابق الاول

1 –سقيفة

2 –غرفة

3 – شرفة

4 – مطبخ

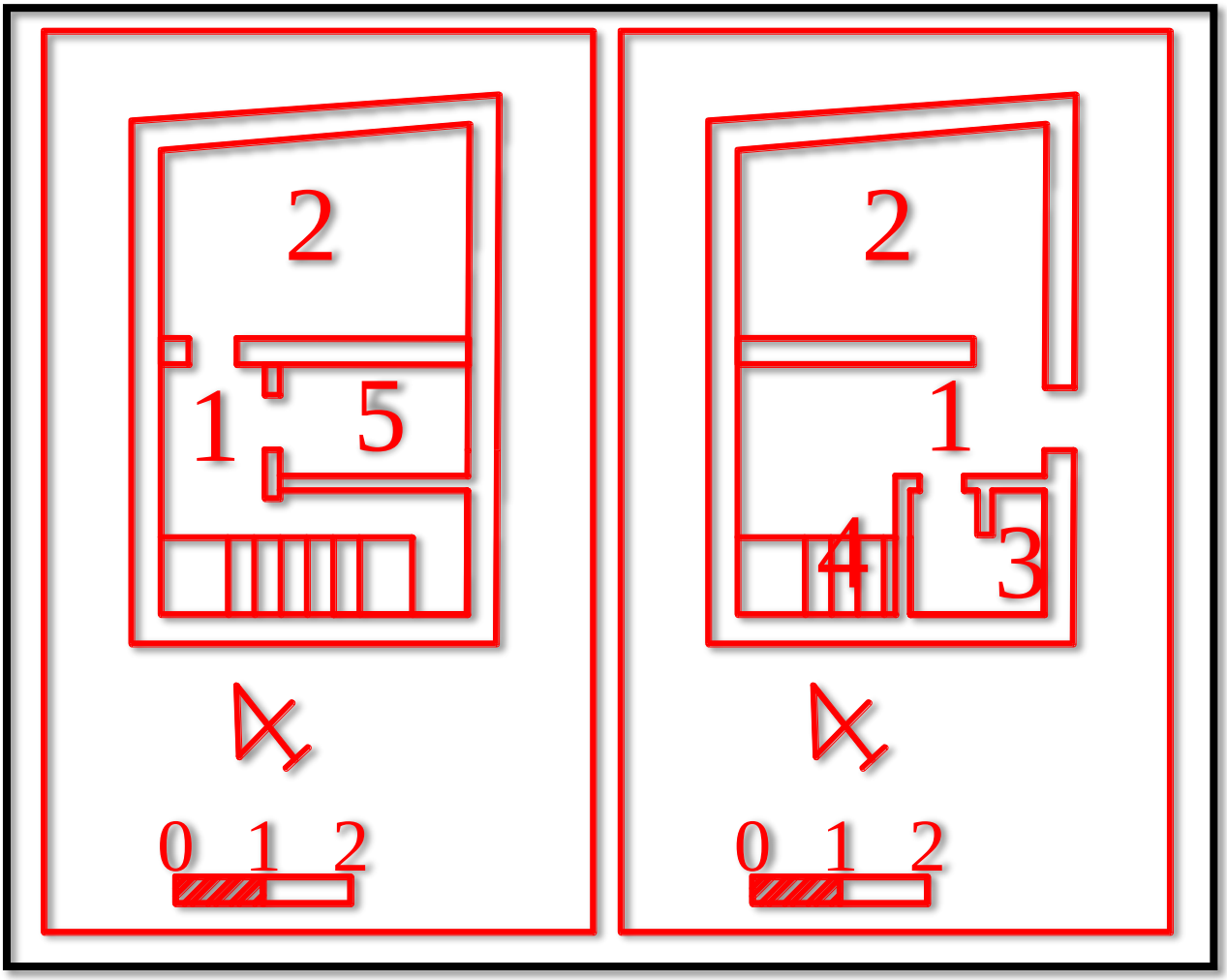

(من اعداد الطالب)**مخطط عام و07 و 08:** النموذج الثالث

للمسكن

الطابق الأرضي الطابق الاول

1 –سقيفة

2 –غرفة

3 – كنيف

4 – سلم 5 – مطبخ

مادحة

رواشدان

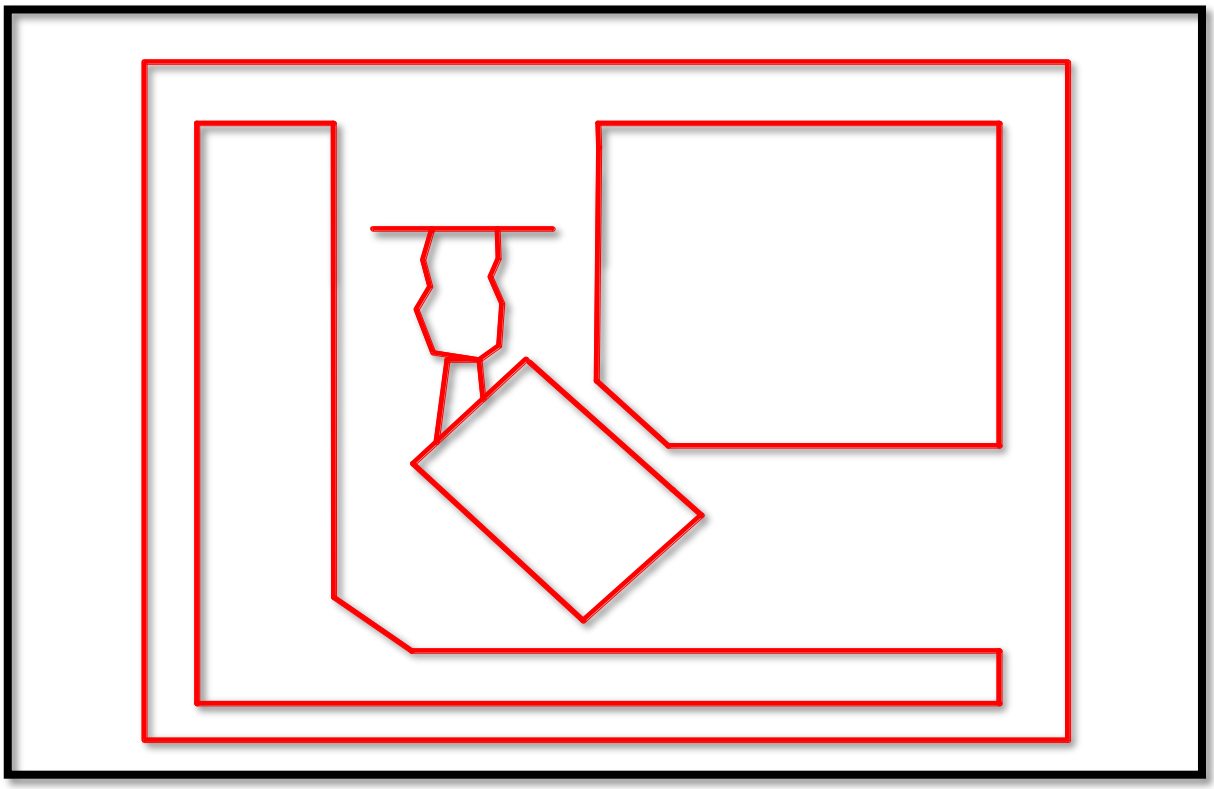

الشكل رقم:01: مخطط توضيحي للزوايا الشوارع الرئيسية

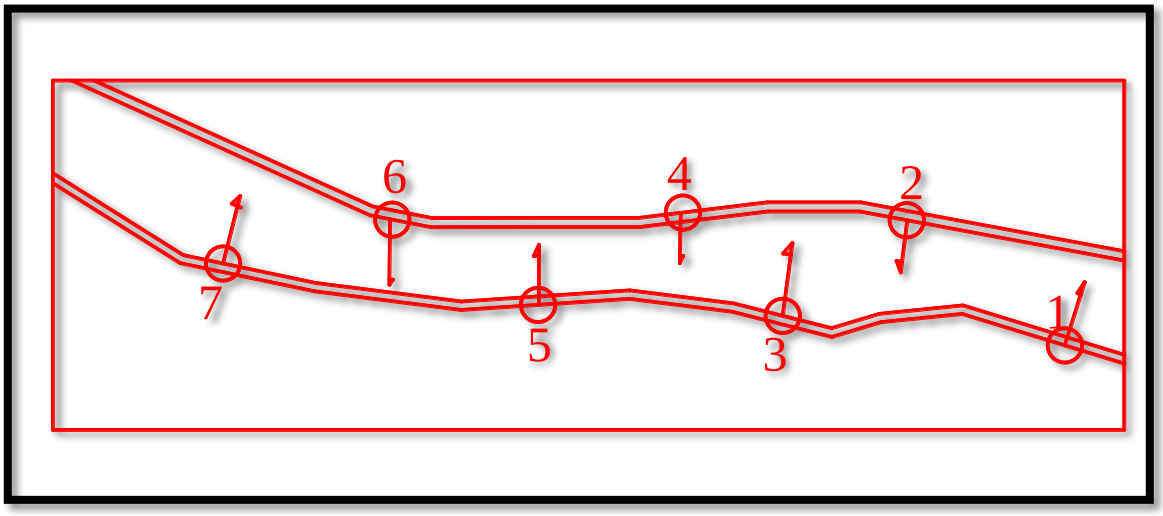

1 –أبواب المنازل

الشكل رقم02: موضع مداخل المنازل بالنسبة لبعضها البعض

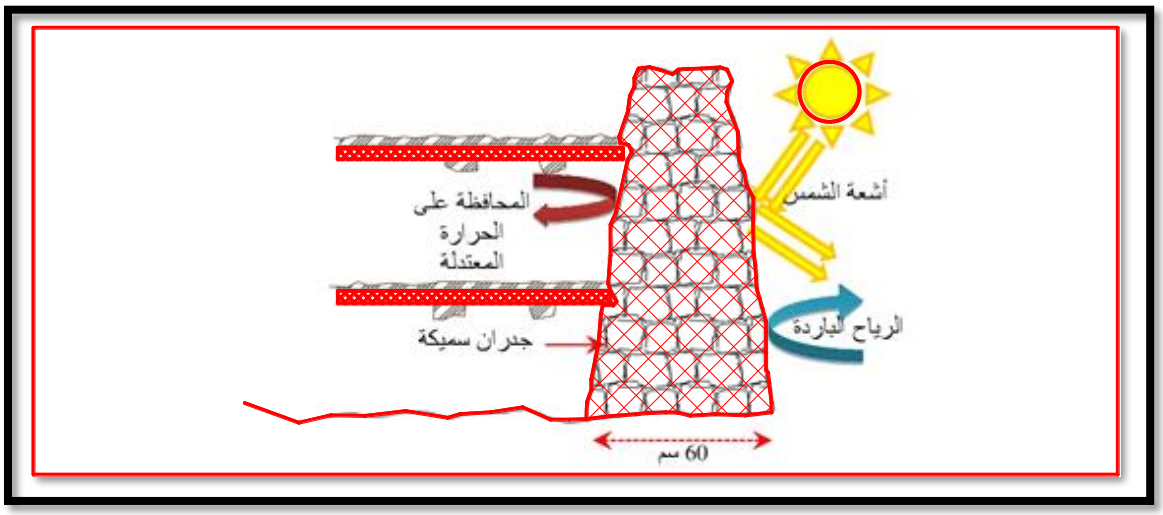

الشكل رقم:03 دور الجدران في العزل الحراري

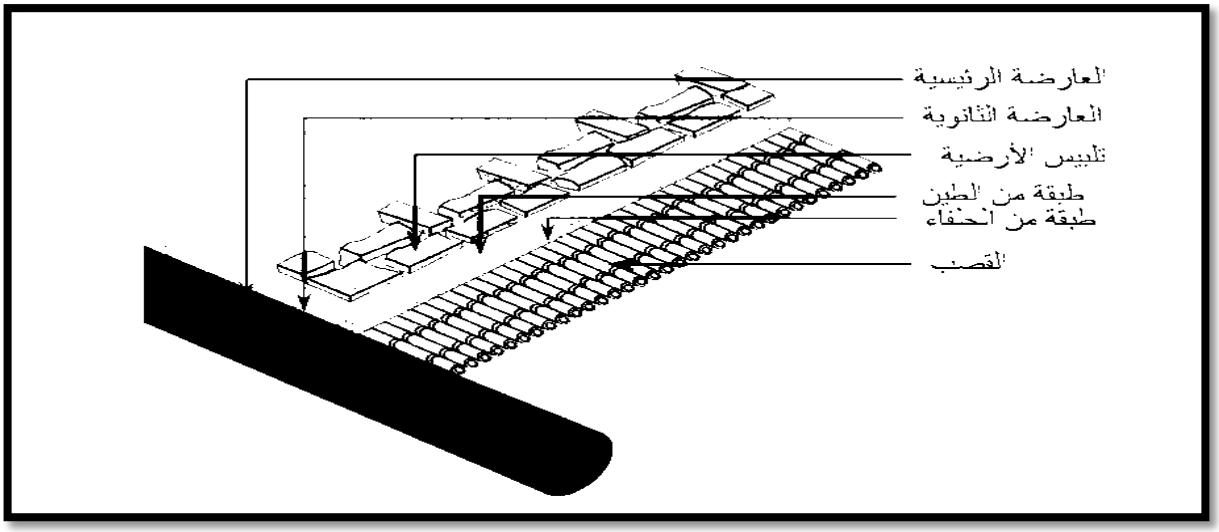

الشكل رقم:04 سقف وسطي ما بين طابقين

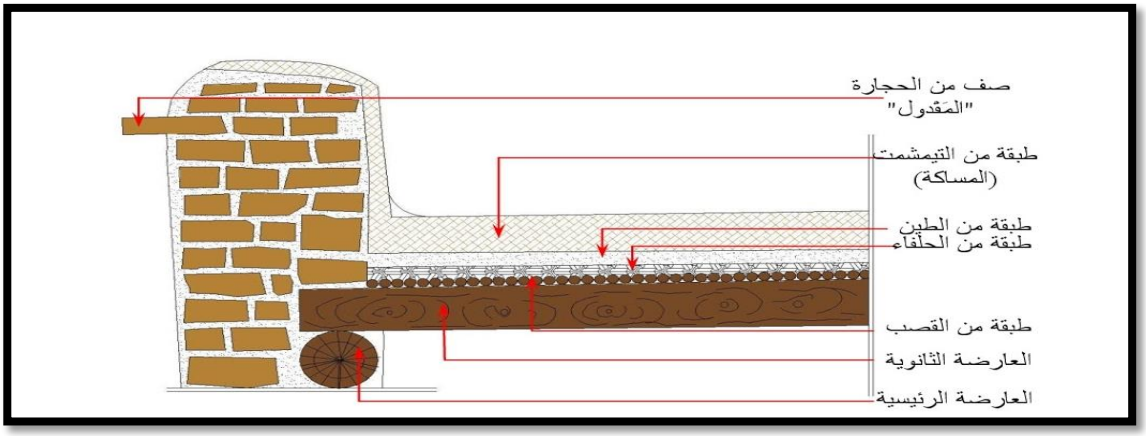

الشكل رقم:05 سقف السطح

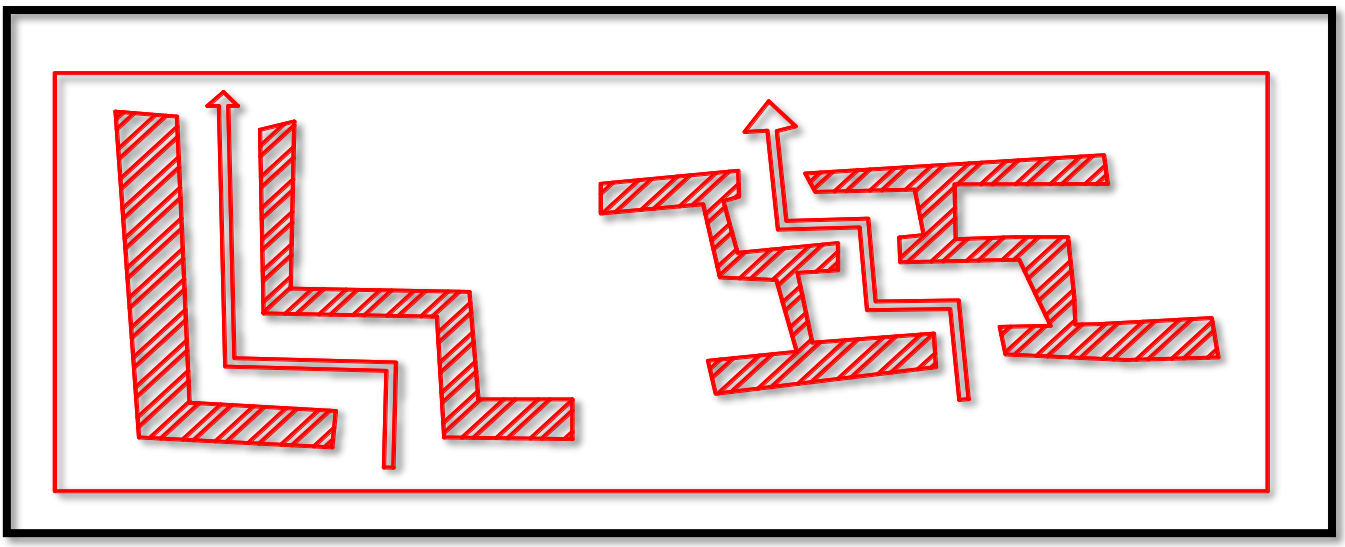

الشكل رقم :06 أنواع المداخل المنكسرة الموجودة بمنازل القصر

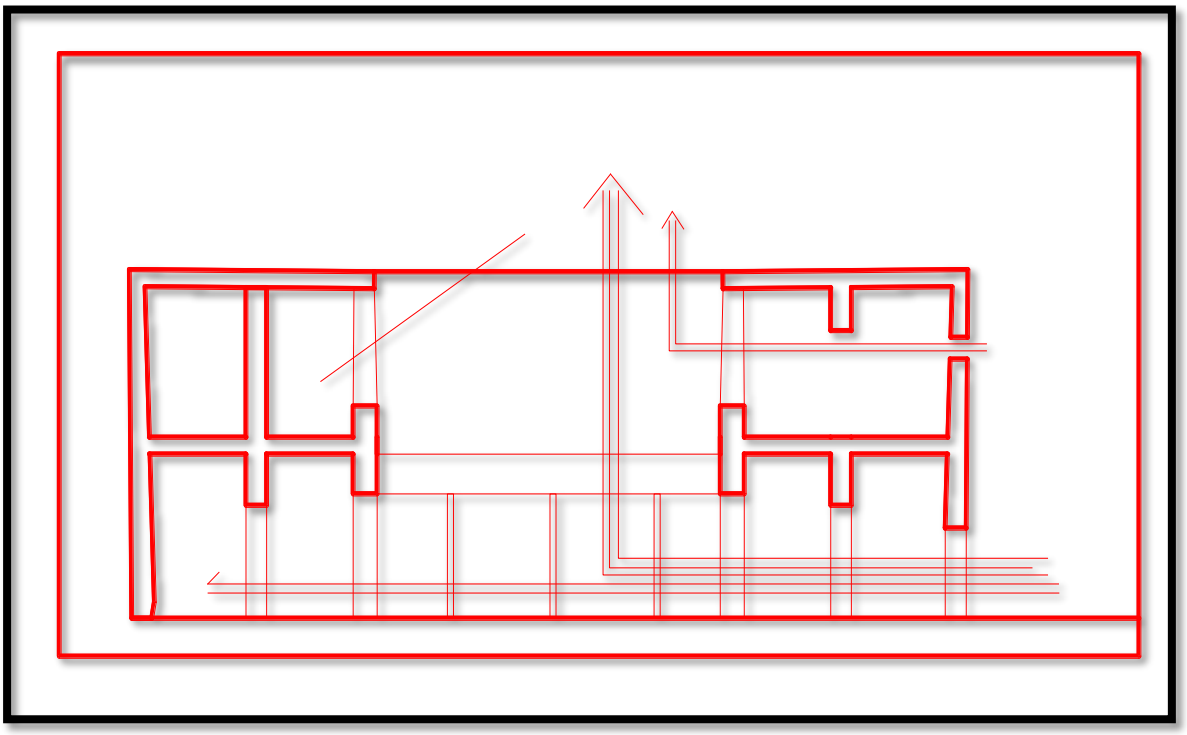

الشكل رقم :07 تهوية طبيعية ما بين السقيفة الخارجية والمنزل

بواسطة تيارات الهواء البارد

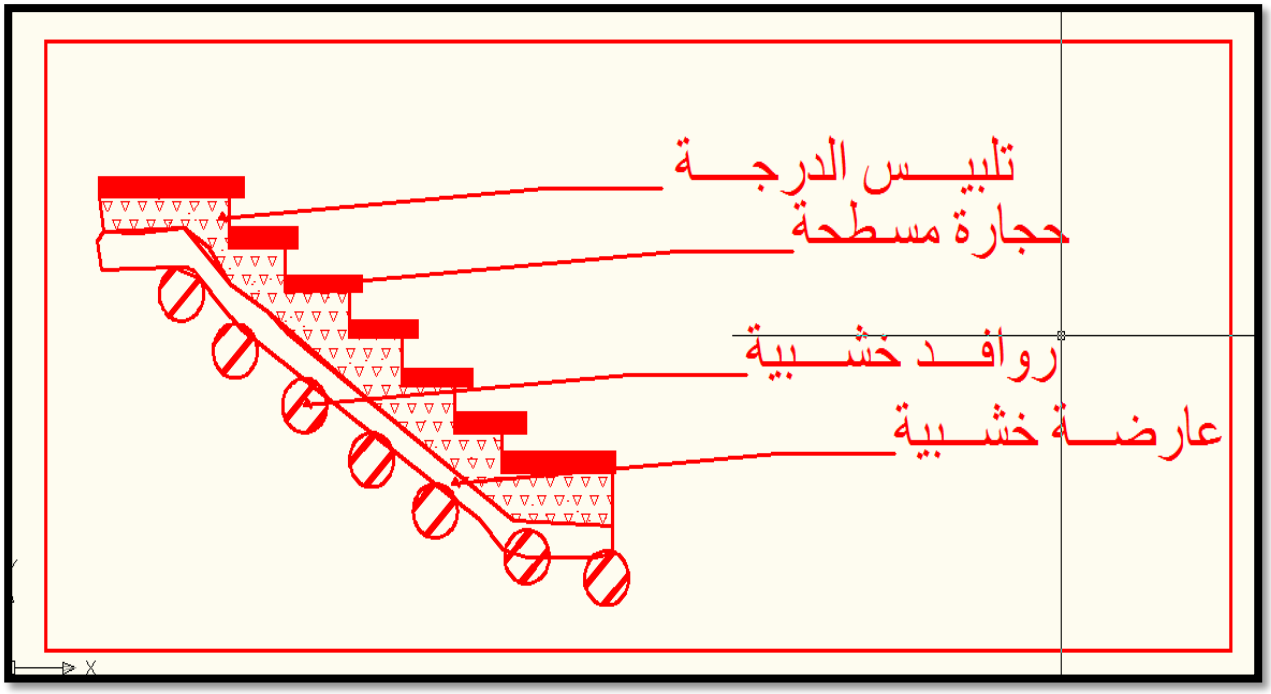

الشكل رقم :08 طريقة بناء سلالم على عوارض خشبية

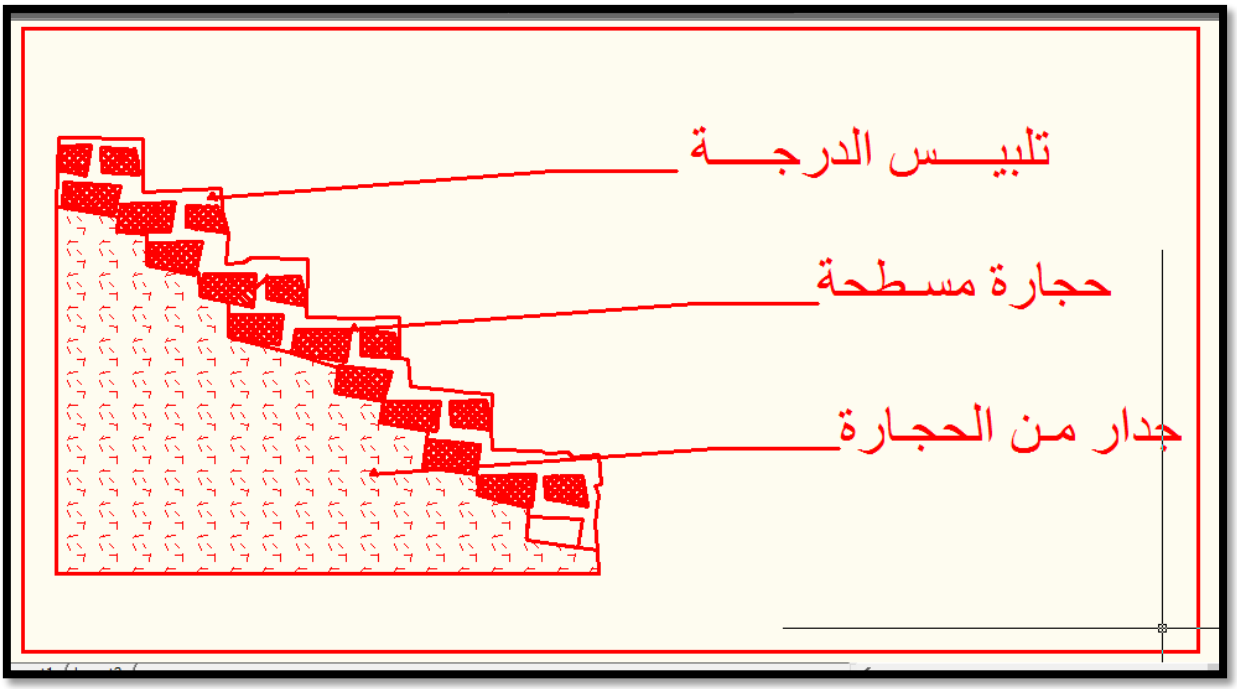

الشكل رقم: 09 طريقة بناء سلالم على جدار حجري

مادحة الصور

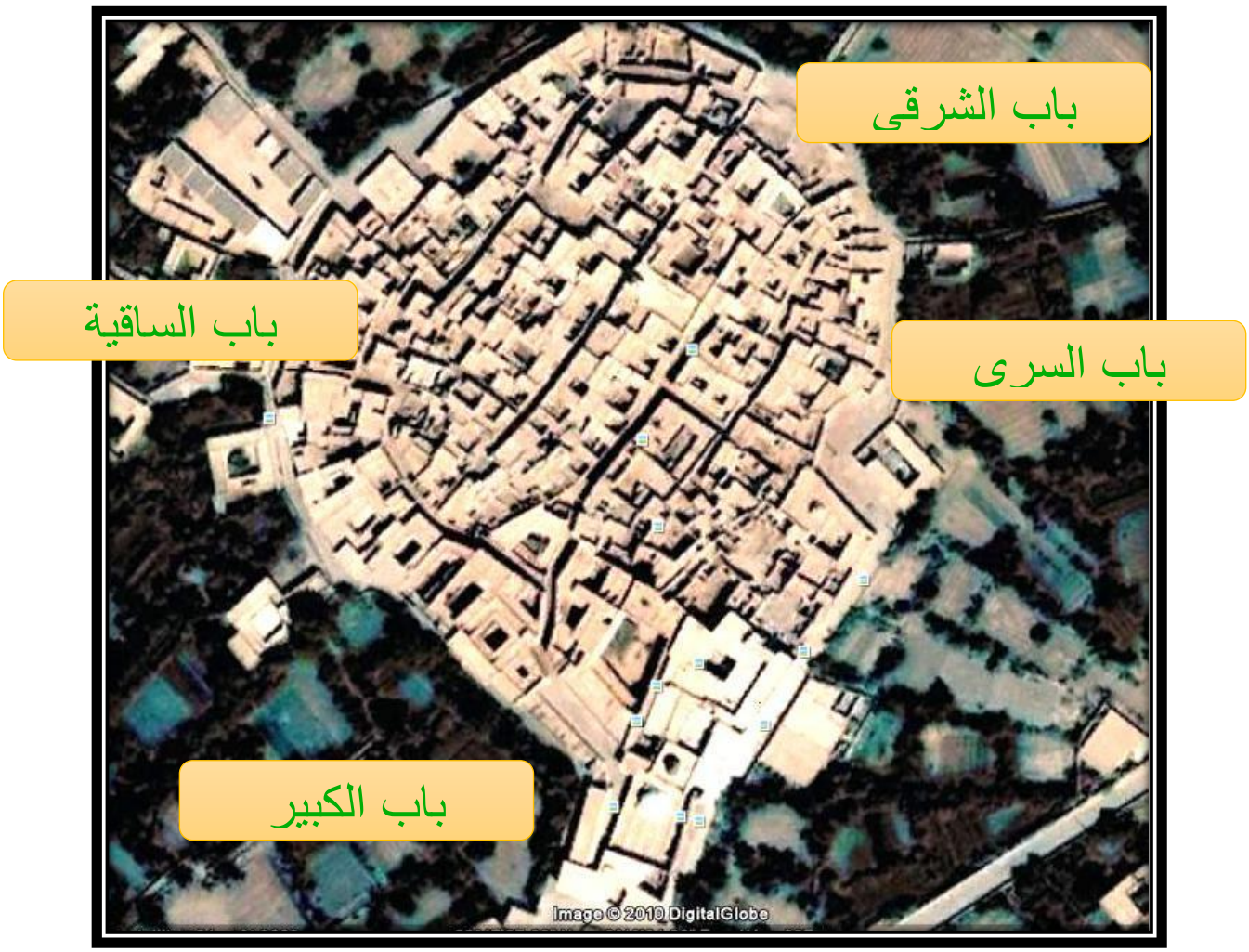

(الصورة رقم: 01) صورة من الساتل تبين مكان الأبواب الأربعة لقصر عين ماضي

المصدر: www.googleearth.com

(الصورة رقم: 02) تهذيب الحواف وزوايا الشوارع

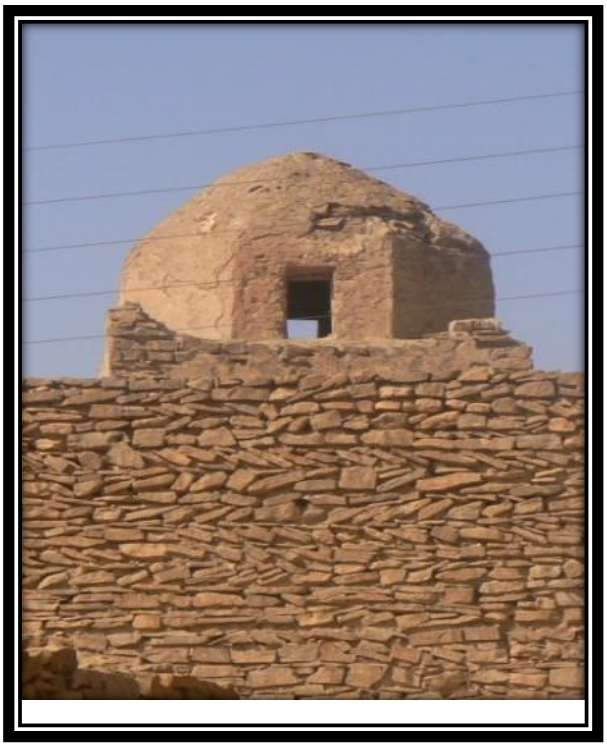

(الصورة رقم: 03) منظر خارجي للقبة التي تغطي مطحنة الحبوب

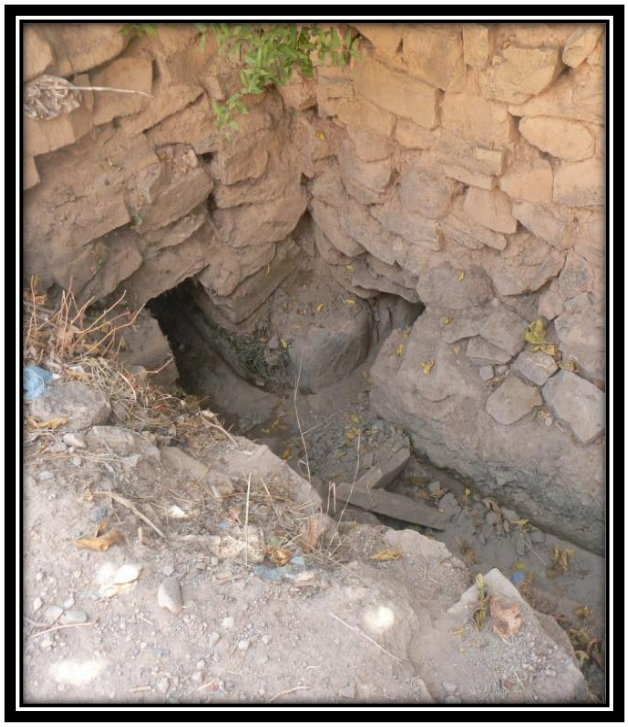

(الصورة رقم: 04) الساقية

(الصورة رقم:05) استعمال تقنية السنبلة في الجدران

(الصورة رقم:06) استعمال تقنية المزج في الجدران

(الصورة رقم:07) أنواع السواكف المستعملة في الفتحات

(الصورة رقم:08) سلالم مبنية على جدار (الصورة رقم :09) سلالم مبنية على عوارض خشبية

(الصورة رقم:10) الممر المغطى (الصورة رقم:11) مئذنة الجامع

(الصورة رقم:12) الاقواس المتجاوزة المنكسرة

(الصورة رقم: 14) منظر داخلي لمسجد الزاوية

(الصورة رقم: 13) مسجد الزاوية التيجانية

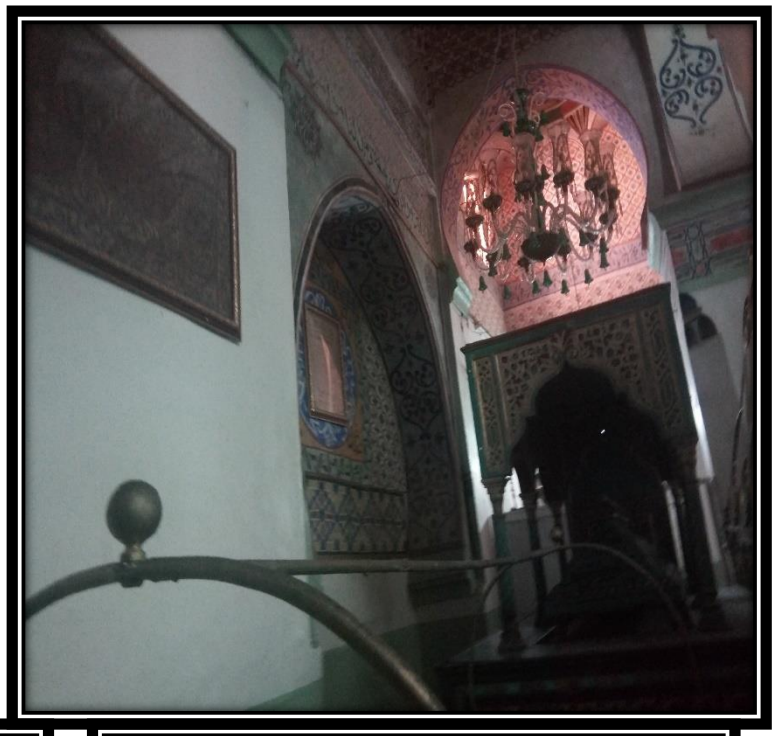

منظر داخلي للضريح الموجود بالزاوية

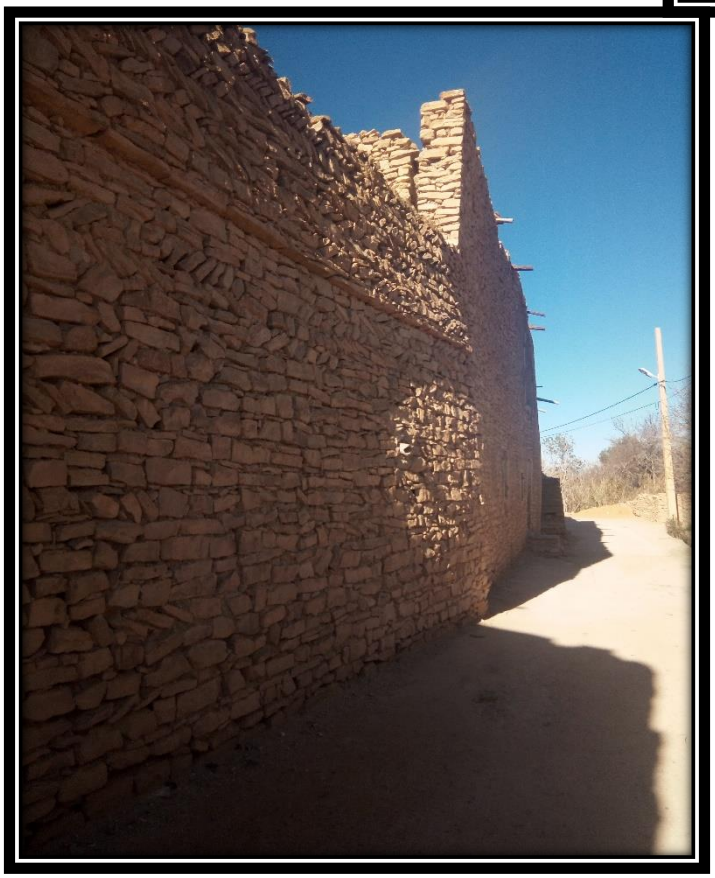

(الصورة رقم:15) منظر خارجي للسور

(الصورة رقم:16) الجزء الوحيد من الصور الذي لم يطرأ عليه أي تغيير

(الصورة رقم:17) منظر خارجي للممشي

منظر الخارجي لبعض الأبراج (الصورة رقم:18-19) منظر خارجي للمزاغل

(الصورة رقم:20) الباب الكبير

(الصورة رقم:21) مصرعي الباب الكبير

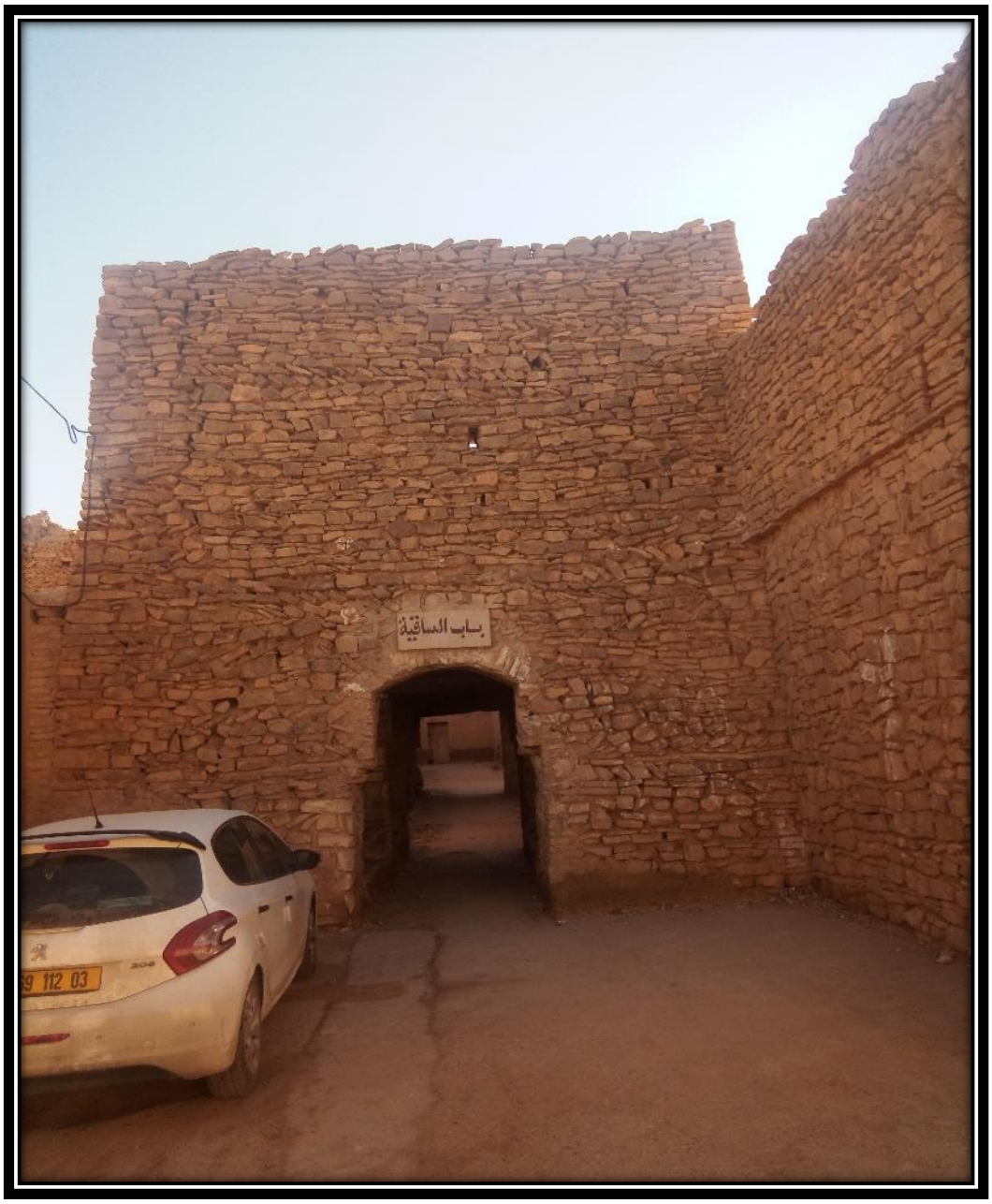

(الصورة رقم:22) المنظر الخارجي لباب الساقية

(الصورة رقم:23) منظر للمقاعد الحجرية

(الصورة رقم:24) الباب الشرقي

(الصورة رقم:25-26) المنظر الداخلي للباب السري

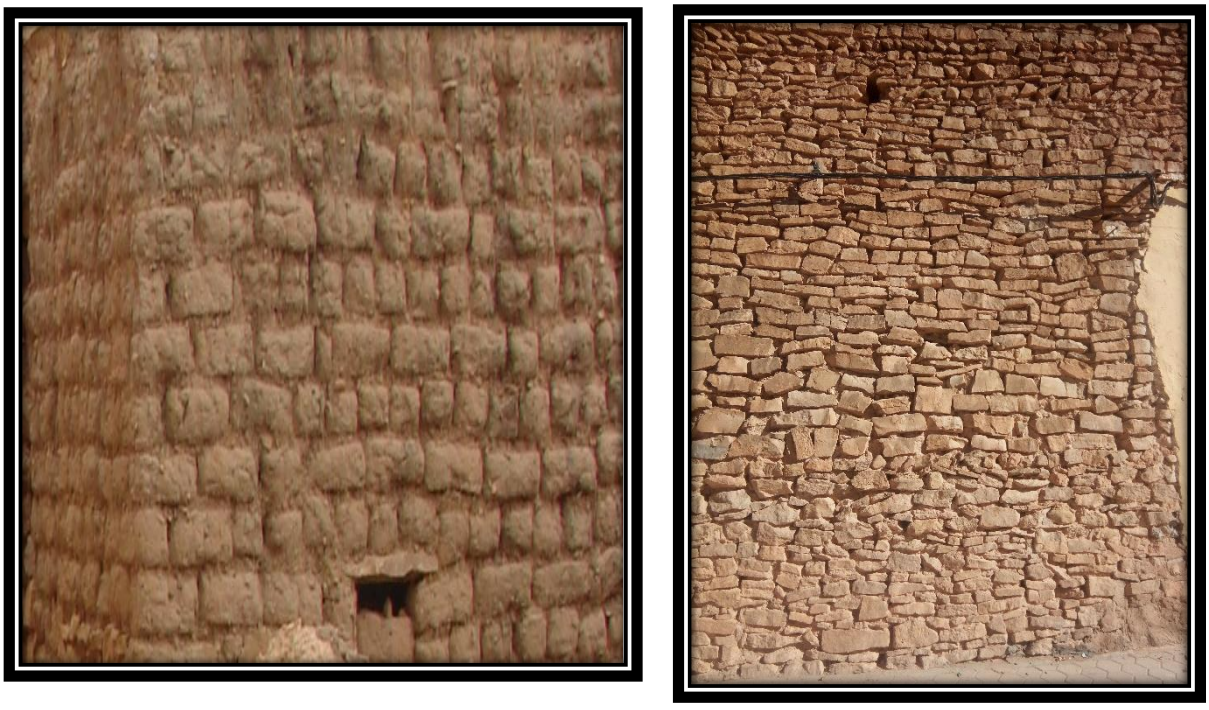

واجهة بالحجارة (الصورة رقم: 28-27) واجهة بالطوب

واجهة بالطوب والحجارة (الصورة رقم: 29–30) واجهة ملبسة

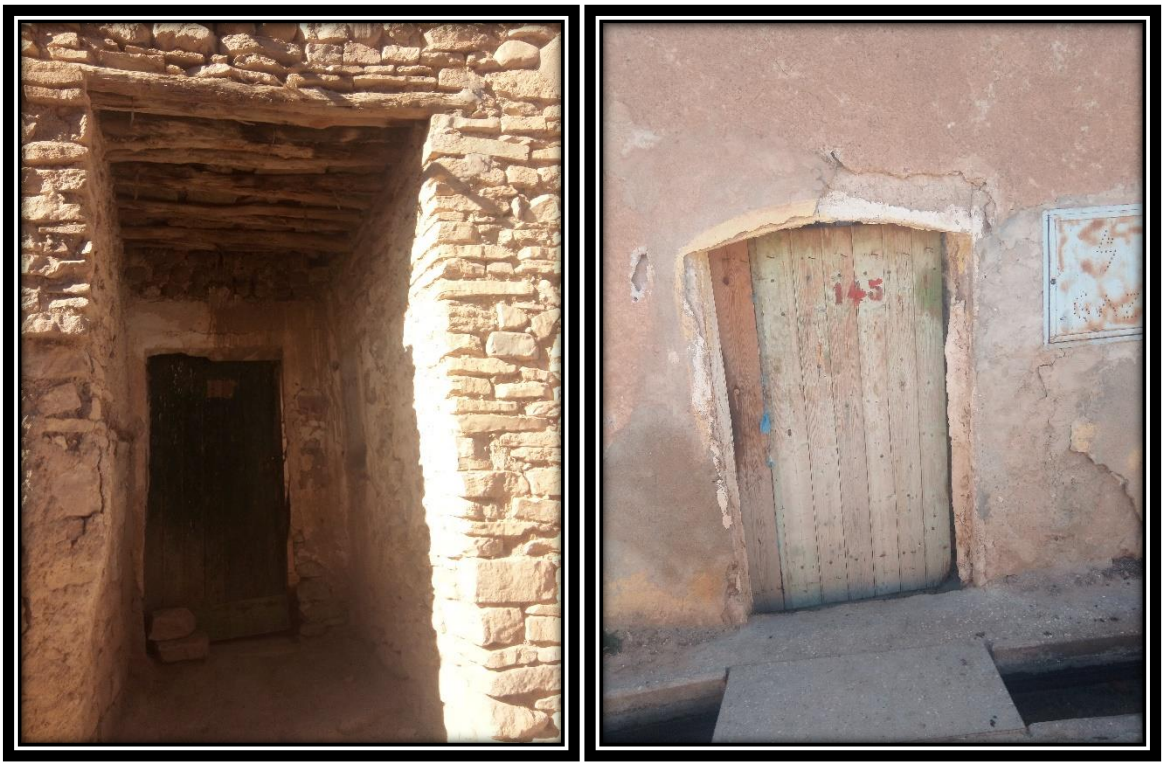

(الصورة رقم: 31) مدخل منزل في الشارع (الصورة رقم:32) مدخل منزل بسقيفة

(الصورة رقم: 33) منظر خارجي للمصرية

(الصورة رقم: 34) بعض أنواع النوافذ الموجودة بالقصر

(الصورة رقم: 35 –36) زخرفة النملة والصرصور زخرفة مستوحات من زخارف الزاوية التيجانية

(الصورة رقم: 37) الرف

(الصورة رقم: 38) السدة

صورة للرحبة بجانب مسجد الزاوية

صورة للحاف القبلي

أنواع السقوف المستعملة في قصر عين ماضي

صاباط مبني على عقد

نوافذ مزخرفة

شرفة بعقود حدويه تأثير عثماني

شعار و رمز لدولة الأمير عبد القادر

القبة المضلعة فوق ضريح الزاوية

قبة بصلية فوق مسجد الزاوية

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولا – قائمة المصادر

– القرآن الكريم

2 – المراجع العربية:

1 –الجزائري محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و الأمير عبد القادر، دار اليقضة العربية، بيروت، 1964.

2 – الجيلالي عبد الرحمان محمد ، تاريخ الجزائر العام، ج 4، دار الثقافة، بيروت

3 – الدرعي ، الرحلة ، مخطوط بالمكتبة الوطنية رقم 1954.

4 – عبد الباقي إبراهيم ، المعماريون العرب 5

5– حملاوي علي ، نماذج من القصور منطقة الأغواط، دراسة تاريخية و أثرية، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر2006.

6 – فجال خالد سليم، العمارة و البيئة في المناطق الصحراوية، الدار الثقافية للنشر، مصر، 2002.

7 – عثمان عبد الستار، المدينة الإسلامية، دار الآفاق العربية للنشر، الطبعة الأولى، 1999.

8 – هاينريش مالتسان، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، ترجمة د. أبو العيد دودو، ج3.

3–1 المقالات و المجلات العربية:

1 – المياسي إبراهيم ، أطماع فرنسا في الأغواط ، مجلة الرؤية، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، ماي جوان 1996.

2 – تلمساني بن يوسف ، الأمير عبد القادر و التيجانية، مجلة الرؤية، جانفي فيفري 96

3 – عقاب محمد الطيب ، المدخل إلى المسكن العربي الإسلامي بمدينة الجزائر ، المؤتمر العاشر للأثار في البلاد العربية ، تلمسان – الجزائر من 15 إلى 18 نوفمبر 1982.

3–الرسائل الجامعية العربية:

1 – التخي بلقاسم، ترميم وصيانة السقوف التقليدية بالقصور الصحراوية، ماجيستير في الصيانة و الترميم، معهد الآثار، جامعة بوزريعة، 2010/2009.

2 – خالد قلواز، دراسة مسكن الآغا بقصر تاويالة (الأغواط)، محاولة تثمين المعلم الأثري، رسالة لنيل شهادة الماجيستير، إشراف الدكتور محمد مصطفى فيلاح، 2006.

4– المعاجم و القواميس العربية:

1 – المنجد في اللغة والإعلام ، الطبعة الحادية والعشرون ، دار المشرق ، بيروت 1986

2 – التوني يوسف ، معجم المصطلحات الجغرافية ، دار الفكر العربي1977.

المراجع باللغة الفرنسية:

1- C.Trumelet, Histoire de l'Insurrection Dans Le Sud, Alger, 1861

2- Eugéne Fromentin, Un Eté Dans le Sahara, et une année dans le sahel. Eddition illustrée. Paris – Méditerranée, 2004.

3-G.Hirtz, L'Algérie Nomade Et Ksourienne 1830-1954, Diffusion P.TACUSSEL Impremerie A.ROBERT, 116, boulevard de la pomme à Marseille, Editon 1989.

4-- L.C.DAUMAS, Le Sahara algérien, Etudes géographiques, statistiques et historiques sur la région au sud des établissements français en Algérie - DUBOS FRERES, Rue Bab-Azoun Alger, Paris, 1845.

5-- Léon Roche, Trente Deux Ans à Travers l'Islam (18321864), Librairie de Firmin Didot, Paris, 1884.

مواقع و شبكة الانترنت

1. www.ar.wikipedia.org
2. WWW. AINMADHI.NET
3. WWW.TIDJANIYA.COM
4. www.googleearth.com
5. www.constructalia.com

الفهرس

فهرس المحتويات

كلمة شكر

اهداء

المقدمة

الفصل الأول :الدراسة العامة

عموميات حول القصور الصحراوية.....ص19

خصائص التكوين المعماري للقصور الصحراوية ص20

محددات البناء بالقصور الصحراوية.....ص23

المحيط الطبيعي للمنطقة.....ص24

التضاريس والشروط البنيوية.....ص25

لمحة تاريخية عن قصر عين ماضي.....ص27

قبل تأسيس الطريقة التيجانية.....ص27

بعد تأسيس الطريقة التيجانية.....ص28

نبذة عن حياة الشيخ أحمد التيجاني" مؤسس الطريقة التيجانية.....ص29

تاريخ القصر بعد موت المؤسس الشيخ أحمد التيجاني.....ص30

التطور العمراني لقصر عين ماضي عبر التاريخ.....ص34

الفصل الثاني: دراسة وصفية للقصر

الهيكلة العمرانية للقصر.....ص38

شكل القصر.....ص38

تخطيط القصر.....ص39

الوصف العمراني للقصر.....ص41

لمحيط الخارجي.....ص41

المحيط الداخلي.....ص42

التحصينات.....ص44

الأبواب.....ص45

الباب الكبير.....ص46

باب الساقية.....ص46

الباب الشرقي.....ص46

الباب السري.....ص46

في الشوارع.....ص47

الشوارع الرئيسية.....ص47

الأزقة.....ص48

الرحبات.....ص49

الأحياء و الدور.....ص49

المرافق العامة.....ص49

نظام الري للبساتين.....ص50

مواد وتقنيات البناء.....ص51
مواد البناء.....ص51
تقنيات البناء.....ص55
تقنيات البناء المستعملة في تشييد الجدران.....ص56
الفتحات.....ص57
السلالم.....ص58
التسقيف.....ص58

الفصل الثالث: العمارة في قصر عين ماضي

العمارة الدينية.....ص62
الجامع العتيق.....ص62
الشكل الخارجي للجامع.....ص63
الفضاءات الداخلية للجامع العتيق.....ص64
الزاوية التيجانية.....ص66
مسجد الزاوية التيجانية.....ص67
الشكل الخارجي.....ص67
الفضاءات الداخلية.....ص67
الضريح.....ص67
العمارة العسكرية.....ص70
الأسوار.....ص70
الأبراج.....ص71

المداخل.....ص72
الباب الكبير ص72
الباب الساقية.....ص73
الباب الشرقي.....ص74
الباب السري.....ص74
العمارة المدنية.....ص75
الشكل الخارجي للمنازل.....ص75
الواجهات.....ص75
مداخل المنازل.....ص76
العناصر الرمزية.....ص77
الفضاءات الداخلية للمنزل.....ص77
الدراسة تحليلية للنماذج من المساكن.....ص82
النموذج الأول.....ص82
النموذج الثاني.....ص84
النموذج الثالث.....ص86
نتائج وتحليلات للعناصر المعمارية لنماذج للمساكن السابقة.....ص87
المظهر الخارجي.....ص88
الأقسام الداخلية.....ص89
المداخل والأبواب.....ص89
السقائف والأروقة.....ص89

الفناءات.....ص90

الغرف وتكويناتها.....ص90

وسائل الدعم.....ص93

الخاتمة

الملاحق

ملحق الخرائط

ملحق المخططات

ملحق الاشكال

ملحق الصور

المصادر والمراجع

فهرس المحتويات